الاتحاد السويسري(*)، أصوله ونشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي

The Swiss confederacy, It's origins, birth and development until the end of the Thirteenth century

د. محمد مرسي عبدالله هديه(**)

قسم التاريخ - كلية الآداب – جامعة المنيا

الكلمات الدالة

هيلفيتي – أليماني – كلت – رايتي – سويز – أوري – أنترفالدن – جبال الألب – نهر الراين – كانتونات – المدن الحرة – الحكم الذاتي – برجندي – زايرنجن – كيبورج – سافوي – الشغور الإمبراطوري – هابسبرج – رودولف الأول – الاتحاد السويسري – ميثاق الاتحاد الدائم.

ملخص

شكلت قبائل الكلت والهيلفيتي والرايتي والأليماني غالبية سكان المدن السويسرية، وكذلك شكلت جبال الألب وجبال جورا وضفاف نهر الراين وروافده وأرض الغابات المنطقة الجغرافية التي عاشت عليها هذه القبائل، التي تعد من أولى القبائل سعيًا نحو الحصول على الحكم الذاتي في ظل الإمبراطورية، وقد بدأ ذلك بالحصول على الامتيازات السياسية والاقتصادية مع نهاية القرن العاشر، ومنها امتياز حق سك العملة الخاصة بكل مدينة، وهو الأمر الذي اصطدم مع مصالح الأسر الإقطاعية، ومنها زايرنجين وكيبورج وسافوي وهابسبرج، التي استحوذت في كثير من الأحيان على المدن السويسرية، وعطلت مشاريعها نحو الحرية والاستقلال، إلا أن تلك المدن استمرت في نضالها، وأسست فيما بينها تحالفات عسكرية من أجل الدفاع عن مصالحها السياسية والاقتصادية، ومع سيطرة أسرة هابسبرج على كامل المدن السويسرية، تيقنت الأخيرة بأنه لا سبيل أمامها سوي التحالف الدائم من أجل حماية حقوقها المكتسبة، وبالتالي تم إعلان ميثاق الاتحاد الفيدرالي الدائم بين كل من سويز وأوري وأنترفالدن عام ١٢٩١م؛ ليكون حجر الأساس للاتحاد السويسري.

Key Words

Helvetians - Almanis - Celtic - Rhaetia - Schwyz - Uri - Unterwalden - Alps - Rhine river - Cantons - Independent cities - autonomy - Burgundy - Ziringen - Kyburg - Savoy - the Great Interregnum - Hapsburg - Rudolf I - Swiss confederation - the permanent confederation.

Summary

The tribes of Celtic, Helvetians, Rhaetia, and Almanis formed the peoples of the Switzerland cantons, likewise the Alps, Jura mountains, strands and tributaries of Rhine river, and the forest land formed the geographical region on which these tribes lived, which is one of the first tribes in pursuit to get autonomy under the rule of the imperial crown, which started with obtaining the political and economic privileges at the

end of Tenth century, including the privilege of the right to mint the currency of each city, which conflicts with the lords feudal rights, Including Ziringen, Kyburg, Savoy and Hapsburg, which often captured the Swiss cities, and it disrupted its projects towards freedom and independence, however, those cities continued their struggle, among them, they established military alliances to defend their political and economic interests, with the Habsburgs taking over all of the Swiss cities, the latter realized that there was no other way for them to reach a permanent alliance in order to protect its acquired rights, and therefore the permanent confederation was announced between Schwyz, Uri and Unterwalden in 1291 A.D; to be the fundamental of the Swiss confederation.

مقدمة :

اتسم تاريخ الإمبراطورية الرومانية المقدسة بظهور العديد من الحركات الاستقلالية، أو حتى تلك المطالبة بالحكم الذاتي في ظل الإمبراطورية، وذلك منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي، وجاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على إحدى هذه الحركات، التي تعد أساسًا لنشأة الاتحاد السويسري، وتظهر تاريخ وأصول نشأة وتطور ذلك الاتحاد حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، وهى الفترة التي وضعت نواة ظهور هذا الاتحاد الدائم للسويسريين، مع إعلان الميثاق الفيدرالي عام ١٢٩١م، وتعرضت الدارسة لهجرات قبائل الكلت الهلفيتي والرايتي ومن بعدها الألماني إلى وسط أوروبا، واستقرار هذه القبائل في المناطق الجبلية ومناطق الغابات وعلى ضفاف روافد نهر الراين، وقد اختارت هذه القبائل تلك المناطق لتميز موقعها الجغرافي، المسيطر على الطرق التجارة والعسكرية، الرابطة بين جنوب وشمال أوروبا، وهو ما جعلها مقصد القوي السياسية مثل الرومان والفرنجة وغيرهم، وكذلك مطمعًا للقوي الإقطاعية مثل نبلاء آل زايرنجين وآل كيبورج وآل سافوي وآل هابسبرج، في الوقت الذي سعت فيه تلك القبائل إلى تأسيس المدن، لتصبح مراكز تجارية، ومن ثم عملوا على تحويلها إلى مدن حرة تتمتع بالحكم الذاتي من قبل الإمبراطورية، ثم تطور الأمر لتأسيس التحالفات العسكرية، التي بدورها تحولت إلى الاتحاد السويسري الدائم.

وبالتالي جاءت هذه الدارسة لتطرح العديد من التساؤلات، منها : ماهي العلاقة بين القبائل المكونة لنسيج الاتحاد السويسري؟ وما موقفها من القوي التي سيطرت على أراضيها؟ وما موقعها من التقسيمات التي طالت الإمبراطورية الكارولنجية عقب وفاة الإمبراطور شارلمان عام ٨١٤م؟ وما موقف المدن السويسرية من النبلاء في ظل النظام الإقطاعي؟ وهل ساهمت الامتيازات التي حصلت عليها من التاج الإمبراطوري في حصول جميع المدن على الحكم الذاتي في ظل الإمبراطورية؟ والأهم من ذلك هل استمرت تلك المدن في النضال من أجل الحرية؟ رغم نجاح

الأسر الإقطاعية في السيطرة عليها بدءً من القرن الحادي عشر الميلادي، ومن أهم الأسئلة التي أجابت عنها الدراسة هو ماهية العلاقة بين المدن السويسرية والتاج الإمبراطوري؟ وكذلك ماهية وضع تلك المدن خلال فترة الشغور السياسي (١٢٥٠ – ١٢٧٣م)؟ وأخيرًا هل كان للسياسية التي اتبعتها أسرة هابسبرج الإقطاعية ضد المدن السويسرية دورًا رئيسيا في ظهور الاتحاد السويسري؟ وأخيرًا ما هي طبيعة الاتحاد الذي أعلن عنه من خلال الميثاق الفيدرالي الدائم عام ١٢٩١م؟ ومن ثم حاولت الدارسة من خلال الإجابة عن تلك الأسئلة التعرض لأصول الاتحاد السويسري – *كما سيأتي ذكره* –خلال الفترة المشار إليها، وتركت المجال واسعًا أمام الباحثين لاستكمال الصورة حول نضال هذا الاتحاد من أجل انتزاع اعتراف الإمبراطورية باستقلالها، وهو ما تم من خلال معاهدة بازل Basel عام ١٤٩٩م.

أولًا : **الأصول والبدايات وحصول المدن على الحكم الذاتي**:

وترتبط أصول نشأة الاتحاد السويسري بالعديد من الأحداث، التي مرت به المدن السويسرية؛ والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مراحل، المرحلة الأولى : وتتمثل في مرحلة استقرار القبائل السويسرية في منطقة جبال الألب وجبال جورا Gora وحول نهر الراين وفروعه ومصباته، والسيطرة على مناطق الممرات والغابات، والمرحلة الثانية وتتمثل في نضال تلك القبائل ضد القوى الاستعمارية التي سيطرت على أراضيها، والمرحلة الثالثة : وتتمثل في السعي للحصول على الامتيازات السياسية والاقتصادية، أو ما يعرف بالحكم الذاتي، ثم المرحلة الرابعة : والمتمثلة في حروب الاستقلال التي شغلت القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وأخيرًا المرحلة الخامسة : وهى مرحلة الإعلان الرسمي عن استقلال الدولة السويسرية.

وبالتالي ترتبط نشأة اتحاد الكانتونات السويسرية The Swiss Cantons Confederacy بالعديد من العوامل المختلفة؛ التي يأتي في مقدمتها الأهمية الاقتصادية للموقع الجغرافي لهذه الكانتونات من حيث تحكمها في الممر التجاري الرابط بين إيطاليا وألمانيا وبالتالي الرابط بين جنوب وشمال أوروبا، أو كونها مصفاة لتجارة الجنوب الإيطالي، وكذلك الركيزة العسكرية التي اعتمدت عليها هذه المدن من فرسان وجنود، الذين يصفهم فشر بقوله "*..... أنهم أصلب المحاربين الأوربيين عودًا في ميادين القتال*"(١)، كذلك كان السويسريون يشكلون أفضل الفرق العسكرية المرتزقة في أوروبا، نتيجة لقوتهم وبسالتهم، على حد قول جاك لوكوف "*..... كان السويسريون على رأس الأوربيين الذين اشتهروا بانتمائهم لفرق المرتزقة*"(٢)، مما زاد من الطلب على تجنيدهم داخل صفوف الجيوش الأوروبية، يضاف إلى ذلك الامتيازات السياسية والاقتصادية التي انتزعتها هذه المدن من قبل الإمبراطورية الرومانية المقدسة (الألمانية) منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي، وحتى إعلان الحلف الأول فيما بينها عام ١٢٩١م، علاوة على طبيعة العلاقة بين الألمانيين (متمثلين في التاج الإمبراطوري وأمراء الإقطاع) وبين

السويسريين المتمثلين في الكانتونات التي قادت حركة الاستقلال وكان لها الزعامة على الشعب السويسري، وغير ذلك من العوامل التي استغلتها تلك المدن في طريق رحلتها نحو تحقيق الاستقلال.

والواضح أن البحث عن الحرية والاستقلال كان الهدف الرئيسي الذي سعت إليه الشعوب التي عاشت على الأراضي التي كونت الاتحاد السويسري فيما بعد، وتمسكت به وسعت إليه منذ القدم وحتى إعلان الاعتراف الضمني باستقلال الحلف السويسري خلال معاهدة بازل عام ١٤٩٩م.

والحقيقة أن متابعة تاريخ الشعب السويسري تظهر هذه الحقيقة؛ المتمثلة في عدم رضوخ هذه الشعوب لحكم القوي الكبرى مثل الرومان والجرمان لفترات طويلة، وسعت دائمًا نحو الحرية، واستغلت طبيعة المنطقة الجغرافية التي تعيش بداخلها، وخاصة فوق جبال الألب، الذي يتسم بكثافة الغابات – مثل كانتونية أوري Uri[٣] – واستغلت كذلك قدرتها العسكرية الفائقة في القتال، كذلك مكنت الميزة الاقتصادية –السيطرة على الممر التجاري، وإقامة مناطق لتبادل تجارة الجنوب الأوروبي مع الشمال – للمنطقة الجغرافية التي تعيش فوق ترابها القبائل السويسرية في الاستمرار في البحث عن الاستقلال وتكوين الدولة.

وفي الواقع أن المناطق المعروفة الآن بسويسرا سكنتها العديد من الشعوب منذ العصور القديمة، وخاصة على شواطئ البحيرات والمناطق السهلية المنخفضة، فقد سكنها شعوب الكلت Celtic خلال الألف الثانية قبل الميلاد، كما سكنتها قبائل الهيلفيتي Helvetia[٤] في غرب جبال الألب وقبائل الرايتي Rhaetia[٥] في الشرق منه – وكلاهما قبائل غالية، وفي العام ٥٨ ق.م هزم يوليوس قيصر قبائل الهيلفيتي، وهو في طريقه لفتح بلاد الغال، فأصبحت جزءً من الإمبراطورية، وتطبع شعب المنطقة بالثقافة الرومانية، غير أن هذا الوضع تغير بحلول القرن الثالث الميلادي، ودخول الإمبراطورية الرومانية في أزمة هذا القرن، حيث ضعفت سيطرة الإمبراطورية على الأراضي السويسرية، ومع زيادة ضغط أعداء الإمبراطورية عليها أصبحت الأراضي السويسرية تشكل المناطق الحدودية لها، وتراجعت الحضارة الرومانية داخلها، وبدأت المنطقة تستعد لهيمنة عنصر جديد؛ إلا وهو الجرمان مع بداية القرن الخامس الميلادي[٦].

وفي الحقيقة أن الهجمات الجرمانية على منطقة الأراضي السويسرية تعود إلى بداية النصف الثاني من القرن الثالث، وبالتحديد في عام ٢٥٩م، عندما عبرت جماعات من قبيلة الأليماني Alemani[٧] حدود الإمبراطورية الرومانية واستقروا في الأراضي السويسرية، وخلال النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي وعقب انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية عام ٤٧٦م اجتاحت أراضي سويسرا موجات من الهجرات الجرمانية، حيث استقر البرجنديون في الغرب، وكذلك استكملت قبائل الأليماني هجماتها، وترتب على ذلك طرد السكان الأصليين إلى الاستقرار

في المناطق الجبلية الشمالية، ومع ظهور دولة الفرنجة خلال القرن السادس الميلادي ضمت إليها إقليمي برجندي وأليماني، بما في ذلك أجزاء كبيرة من الأراضي السويسرية، التي أضحت جزءً من إمبراطورية الفرنجة، ومع حلول القرن العاشر كانت الأراضي السويسرية على موعد مع الفتوحات الإسلامية، الذين استقروا في جنوب فرنسا وسيطروا على أقاليم واسعة في سويسرا وإيطاليا، وذلك بعد دخول إمبراطورية الفرنجة في مرحلة الضعف التدهور، وذلك بعد تعدد التقسيمات الإدارية والوراثية لتلك الإمبراطورية وأشهرها تقسيم فردون عام ٨٤٣م(٨).

ومع توالي تلك التقسيمات أصبح الجزء الأكبر من الأراضي السويسرية وخاصة أراضي هيلفيتيا يقع ضمن أراضي الإمبراطورية الألمانية (الإمبراطورية الرومانية المقدسة)، وازدادت أهمية هذا الإقليم، نتيجة لوجود الممرات الجبلية، ومن ثم فهو يربط بين أجزاء الإمبراطورية، نقصد ألمانيا في الشمال وإيطاليا في الجنوب، وبالتالي فهي ممرًا اقتصاديًا مهمًا، وكذلك ممرأً عسكريا مهمًا أيضًا، حيث كانت هذه الممرات بمثابة منطقة عبور الجيوش الإمبراطورية، خاصة تلك الجيوش التي كان يقودها الأباطرة بأنفسهم، ومن ثم لآقت تلك المنطقة (أراضي سويسرا) اهتمامًا كبيرًا من قبل أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وأخذوا في إعطاء المدن السويسرية الامتيازات الاقتصادية والسياسية، وذلك منذ القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر، إلى أن أعطيت بعض المدن السويسرية الحكم الذاتي ضمن الإمبراطورية، وظهر ما عرف بكانتونات الغابات The Forest Cantons(٩).

والواقع أن الأمر الذي دفع حكام الإمبراطورية الرومانية المقدسة إلى إغداق تلك الامتيازات على المدن السويسرية يرجع إلى طبيعة نشأة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، التي ضمت العديد من الأقاليم أشهرها ألمانيا وإيطاليا، ولما كانت المدن السويسرية تقع في الوسط من هذين الإقليمين (ألمانيا وإيطاليا)، وتسيطر على طرق الربط بينهما، أيقن أباطرة ألمانيا ضرورة الحفاظ على الرابط فيما بينهم وبين المدن السويسرية، ليس فقط من أجل استمرار سيطرتهم على أملاكهم في إيطاليا، وإنما للحفاظ على وجود الإمبراطورية نفسها، التي تعتمد اقتصاديًا وعسكريًا على المنطقة السويسرية – *وهو ما تسبب في حالة الحرب والعداء التي استمرت طويلًا بين مدن سويسرا وبين حكام الإمبراطورية من آل هابسبرج فيما بعد* – فمن ناحية كانت المدن السويسرية مصفاة لتجارة المدن الإيطالية التي تذهب إلى أواسط وشمال أوروبا، ومن ناحية أخرى مثلت الممرات السويسرية الطريق العسكري الآمن والسريع لحملات الإمبراطورية العسكرية ضد الثورات الانفصالية في إيطاليا، ومن هنا حرصت الإمبراطورية على عدم فقدان تلك المنطقة أو دخولها في صف أعدائها، وترويض شعوبها، وإن كان ذلك عبر السماح بمزيد من قرارات الحكم الذاتي لمدن سويسرا المختلفة(١٠).

ومن المعروف أن القبائل السويسرية دأبت على البحث عن الحرية والاستقلال منذ الغزو الروماني لأراضيها وحتى وقوعها تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عهد أسرة هابسبرج، وربما يعود ذلك لطبيعة هذه القبائل؛ من حيث كونها ذات طبيعة جبلية (أغلبها يعيش فوق جبال الألب) لا ترضخ للحكم المباشر، الذي يسلب خيرات البلاد والعباد، وأيضًا ما عرف عن جنود القبائل السويسرية من أنهم "أصلب المحاربين الأوربيين عودًا في ميادين القتال" وبالتالي نجحوا في الزود عن أوطانهم ببسالة وانتزعوا احترام حكامهم من الرومان والجرمان على حد سواء، وإن كان الأمر لا يرتبط فقط بالطبيعة الجغرافية والعرقية والقوة العسكرية للقبائل السويسرية فقط، ولكن العامل الاقتصادي كان المحرك الرئيسي والأساسي، الذي استخدمته المدن السويسرية في الحصول على الامتيازات السياسية والاقتصادية(١١).

والأمثلة على تلك الامتيازات التي انتزعتها المدن السويسرية عديدة، ولكن أشهرها يعود للقرن الحادي عشر الميلادي، وعلى وجه التحديد في ١ يوليو عام ١٠٤٥م عندما منح ملك ألمانيا هنري الثالث Henry III (١٠٢٨ – ١٠٥٦م) – *فيما بعد إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٠٤٦ – ١٠٥٦م)* – إبرهارد فون نيلنبرغ Eberhard von Nellenburg كونت سويز Schwyz(١٢) الحق في سك عملة خاصة بالكانتونية، في إعلان رسمي من قبل الإمبراطورية وعلى رأسها الإمبراطور هنري الثالث بالاعتراف بتحول كانتونية سويز إلى كيان مستقل في ظل الإمبراطورية، أو ما عرف اصطلاحًا بالمدينة الدولة(١٣).

والواقع أن هذا الامتياز لم يلعب دورًا مهمًا في تاريخ كانتونية سويز فحسب؛ بل في تاريخ كانتونات سويسرا بأكملها، أو بالأحرى الاتحاد السويسري، حيث سعت تلك الكانتونات على الحصول على هذه الامتيازات من الأباطرة والأمراء الإقطاعيين من أجل الاستقلال وإعلان الكانتونية كمدينة دولة، فمن المعروف أن كانتونات سويسرا وعلى رأسها سويز كانت تتمتع بنوع من الاستقلال قبل الحصول على تلك الامتيازات، ولم يتبق من اكتمال أضلاع المدينة الدولة سوى الحصول على امتياز حق سك العملة الخاصة بالكانتونية، حيث كان لكل كانتونية السور المحيط بها وكذلك السوق الرئيسية، والأخيرة كانت تشكل عامل مهم في تاريخ تلك الكانتونات، لما سبق الحديث عنه من كون أن الكانتونات السويسرية كانت تحتوى على العديد من الأسواق الكبرى؛ التي عدت مصفاة للتجارة بين جنوب وشمال أوروبا(١٤).

وبالتالي حصلت كانتونية أوري Ury على نفس الامتياز من قبل من الإمبراطور فردريك الثاني Frederick II (١١٩٨ – ١٢٥٠م) عام ١٢٣١م، عندما كان الأخير في أمس الاحتياج لتأمين خطوط التواصل بين أطراف الإمبراطورية وخاصة ألمانيا في الشمال وإيطاليا في الجنوب، خاصة مع مواجهته للعديد من المشاكل السياسية على المستويين الداخلي والخارجي؛ يأتي على رأسها النزاع مع البابوية وكذلك النزاع مع الأمراء الألمان في الداخل، وفي هذا السياق وفي إطار

الصراع بين فردريك الثاني وأسرة هابسبرج Hapsburg[١٥] صاحبة الحق الإقطاعي في كانتونية أوري – *كما سيأتي ذكره*– قام فردريك الثاني بإعطاء حق الحكم الذاتي لكانتونية أوري في ظل الإمبراطورية، ومنحها حق سك العملة الخاصة، واعترف بها مدينة ذات حكم مستقل، وعلى نفس الغرار ومن خلال المرسوم ذاته أكد على الحقوق والمزايا التي حصلت عليها كانتونية سويز من قبل عام ١٠٤٥م، الأمر الذي أصل للعداء التاريخي بين كانتونات سويسرا وبين الأمراء الإقطاعيين من أسرة هابسبرج[١٦].

ثانياً : العلاقة مع الإمبراطورية وأثرها على نشأة الاتحاد (الحلف) السويسري:

وبالعودة إلى تاريخ الارتباط بين منطقة اتحاد الكانتونات السويسرية أو عصبة مدن ألمانيا العليا – *المعروفة الآن بسويسرا* – وبين الإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ فإن تلك المناطق شكلت جزءً من مملكة الفرنجة منذ عهد شارلمان (٧٦٨ – ٨١٤م)، وعقب دخول هذه الإمبراطورية في مرحلة التقسيم عقب وفاة شارلمان عام ٨١٤م، وما ترتب على ذلك من ظهور الإمبراطوريات والممالك، وخاصة عقب معاهدة فردون Treaty of Verdun[١٧] عام ٨٤٣م، التي قسمت الإمبراطورية بين أبناء لويس التقي Louis the pious (٨١٤– ٨٤٠م)، حيث أصبح الجزء الغربي من المناطق المكونة للكانتونات السويسرية – *سويسرا الحديثة* – جزءًا من القسم الأوسط من الإمبراطورية أو ما عرف بلوثرنجيا أو اللورين وهو من نصيب لوثر الأول Lothair I، بينما أصبح الجزء الشرقي من الأراضي التي حملت اسم الاتحاد السويسري – *فيما بعد*– جزءا من القسم الشرقي من الإمبراطورية وهو من نصيب لويس الألماني Louis the Germanicus، ومع استمرار النزاع بين ورثة البيت الكارلونجي، وما ترتب علي ذلك من استمرار لعملية تقسيم تلك الإمبراطورية، وخاصة عقب وفاة لوثر الأول عام ٨٥٥م وتقسيم مملكته بين أبنائه، أصبحت المناطق المشكلة للكانتونات السويسرية مقسمة إلى قسم غربي تابع لمملكة برجندي Burgundy[١٨] – *وهو ما عرف ببرجندي العليا* – داخل القسم الأوسط من الإمبراطورية الكارولنجية، وقسم شرقي تابع لدوقية سوابيا Swabia[١٩] داخل القسم الشرقي من الإمبراطورية، وذلك حتى عام ١٠٥٠م، وهو العام الذي آلت فيه السيطرة على المناطق المكونة للكانتونات السويسرية إلى أمراء زايرنجن Zearingan (Zähringen)[٢٠] خلال الفترة (١٠٥٠ – ١٢١٨م)[٢١].

والواقع أنه خلال تلك المرحلة وقبل سيطرة أمراء زايرنجن على مناطق السويسريين ظهر النظام الإقطاعي وتغلغل داخل الأراضي التابعة للكارلونجيين ومنها الأراضي السويسرية، وفي حقيقة الأمر لم يتقبل السويسريون النظام الإقطاعي من الوهلة الأولى؛ نتيجة لطبيعة هذا الشعب وأهمية المنطقة الجغرافية التي يقطنها، والأهم من ذلك المزايا التي حصلوا عليها من الملوك والأباطرة مع بداية ظهور هذا النظام، بالربط المباشر بالتاج وعدم التبعية لأمراء الإقطاع، ومن

ذلك ما قام به ملك ألمانيا لويس الألماني عام ٨٥٣م بمنح كانتونية زيورخ Zürich[٢٢] المزايا الإقطاعية بتبعيتها للملك مباشرة، بل وأصبحت أهم مقرات الملوك الألمان خلال القرن التاسع الميلادي، وهو الأمر الذي تمتعت به غالبية الأراضي السويسرية؛ وعلى الأخص الأجزاء الشرقية منها، وهى التابعة لملوك ألمانيا، وبالتالي اكتسبوا المزايا الإمبراطورية المباشرة، التي جعلتهم يتمتعوا بنوع فريد من الحرية النسبية والاستقلال الذاتي، التي اعتادوا عليها، خاصة وأنها ساهمت في تخفيض الضرائب وزيادة الحكم الذاتي[٢٣].

على أن هذه الامتيازات التي حازت عليها الكانتونات (السويسرية) من قبل التاج مباشرة – *الملكي والإمبراطوري على التوازي*– عقب استقرار النظام الإقطاعي، اصطدمت بهجمات المجريين وغيرهم على الأراضي (السويسرية)، فعقب تلاشي الحكم الكارلونجي خلال القرن العاشر الميلادي تعرضت أراضي (السويسريين) للإغارات من قبل المجريين The Magyars؛ الذين هاجموا بازل Basel[٢٤] عام ٩١٧م ومدينة القديس جالن St. Gallen عام ٩٢٦م، ولم يوقف خطرهم سوى الملك أوتو الأول Otto I، عقب انتصاره عليهم في معركة ليخفيلد Lechfeld عام ٩٥٥م؛ حيث نجح في إعادة دمج أراضي (السويسريين) الشرقية إلى أراضي التاج الإمبراطوري مرة أخرى، وأصبحت كامل أراضي (السويسريين) تابعة للتاج الإمبراطوري بعد ضم برجنديا – *وهي التي تضم الجزء الغربي من (سويسرا)* – إلى الإمبراطورية عام ١٠٣٢م في عهد الإمبراطور كونراد الثاني Conrad II (١٠٢٧ – ١٠٣٩م)، الذي حقق الانتصار على ملكها بودولف الثالث Budolf III (٩٩٣ – ١٠٣٢م)، لتدخل الأراضي السويسرية في مرحلة جديدة اصطبغت فيها بالصبغة الألمانية، وخاصة بعد هجرات العديد من الأسر الألمانية إليها خلال عهد الإمبراطور هنري الثالث Henry III (١٠٤٦ – ١٠٥٦م)[٢٥].

وعقب وفاة الإمبراطور هنري الثالث بدأت سيطرة أمراء أسرة زايرنجن على غالبية الكانتونات (السويسرية)، وهى الأسرة التي بدأ نجمها يلوح في الأفق منذ النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، والتي توجت بنجاح برثولد أف فيلينجن Berthold of Villingen زعيم تلك الأسرة في الحصول على الحكم الذاتي وحق سك العملة عام ٩٩٩م داخل مقاطعة فيلينجن Villingen[٢٦] من الإمبراطور أوتو الثالث Otto III (٩٩٦ – ١٠٠٢م)، ومن ثم توسعوا على حساب المناطق المجاورة، حتى تمكنوا من اقتناص لقب دوقات سوابيا، في عهد الدوق برثولد الأول Berthold I، الذي تلقى هذا اللقب من قبل الإمبراطور هنري الثالث، وعقب وفاة الأخير قامت أرملته أجنس Agnes بتجريد برثولد الأول من لقب دوق سوابيا لصالح رودولف راينفيلدن Rudolf of Rheinfelden عام ١٠٥٦م، وفي مقابل ذلك عوضته بدوقية كارنثيا Carinthia عام ١٠٦١م، إلا أن برثولد لم يقنع بذلك وخاض حربًا ضد رودولف حتى توفي عام ١٠٧٨م، وعقب وفاته قاد نجله بيرثولد الثاني Berthold II (١٠٧٨ – ١١١١م) توسعات أسرة زايرنجن،

وتم انتخابه دوقًا لسوابيا عام ١٠٩٢م، وذلك أمام فردريك أف سوابيا Frederick I Duke of Swabia – *أحد أفراد أسرة هوهنشتاوفن Hohenstaufen*[٢٧] *التي حكمت ألمانيا فيما بعد خلال الفترة (١١٣٨ – ١٢٥٤م) توفي عام ١١٠٥م* – لكن سرعان ما تنازل عنه لصالح الأخير عام ١٠٩٨م، وأمام ذلك ومع بداية القرن الثاني عشر الميلادي قام بتحويل مدينة زايرنجن إلى دوقية وحمل لقبها (دوق زايرنجن)[٢٨].

ولما كانت دوقية زايرنجن ضعيفة بالمقارنة ببقية الدوقيات في ألمانيا؛ بدأ أمراء زايرنجن منذ عهد برثولد الأول وحتى نهاية عهد الأسرة بوفاة آخر دوقاتها برثولد الخامس Berthold V عام ١٢١٨م حركة توسع كبيرة على حساب مملكة برجنديا ودوقية سوابيا، وسيطروا على العديد من المدن، ومنها بطبيعة الأمر غالبية المدن (السويسرية)، وخاصة بازل Basel علاوة على تأسيس العديد من المدن الجديدة داخل الأراضي (السويسرية) وخارجها، وخاصة على الطرق التجارية الرئيسية، لكي تكون مراكز تجارية، يسيطرون من خلالها على التجارة بين أجزاء الإمبراطورية، ومن ذلك ما قام به برثولد الثاني الذي نجح في الاستحواذ على عدد من الأملاك السويسرية في سوابيا وبرجنديا، وعلى رأسها منطقة هيلفتيا، وكذلك سيطر على قلعة فرايبورج Freiburg ونقل إليها مقر حكمه، وكذلك استحوذ على زيورخ Zurich عام ١٠٩٧، ومن خلال ذلك أصبح أمراء الزارينجن أكبر ملاك الأراضي في سويسرا، وفي عهد كونراد الأول Conrad I دوق زايرنجن (١١٢٢ – ١١٥٢م)، نجح في السيطرة على إقليم برجنديا العليا، الذي يعد جزءا من كبيرًا الأراضي السويسرية، أما في عهد برثولد الرابع Berthold IV (١١٥٢ – ١١٨٦م) حصل على لقب دوق برجنديا من قبل الإمبراطور الألماني فردريك الأول بربروسا Frederick I (١١٥٢ – ١١٩٠م)، وخلال عهده وعهد ابنه برثولد الخامس Berthold V (١١٨٦ – ١٢١٨م) قاموا بإعادة تقوية وتحصين المدن القديمة مثل فيلينجن بتأسيس العديد من المدن على الطرق التجارية داخل الأراضي السويسرية؛ منها تأسيس مدينة فرايبورج السويسرية Swiss Freiburg عام ١١٥٧م، وخلال عام ١١٦٠م تم تأسيس مدينة بيرن Bern، كما تم تأسيس مدينة أوفنبرج Offenburg من قبل برثولد الخامس، الذي أسس أيضًا نيوبرج Neubürg وبرجدوف Burgdorf ومورتن Murten وتون Thun[٢٩].

ومن خلال العرض يتضح أن تاريخ نشأة الاتحاد السويسري خلال فترة سيطرة أمراء زايرنجن (١٠٥٠ – ١٢١٨م) تميز بالتحرك في اتجاهين، الأول وهو تقوية الوضع القائم للمدن القديمة، أما الثاني فتمثل في التوسع في إنشاء المدن الجديدة، واستغلال المزايا الجغرافيا التي تتمتع بها الأراضي السويسرية، وهو ما يخدم الحالة السياسية العسكرية والاقتصادية التجارية داخل مناطق نفوذهم – *ومنها المدن السويسرية*– ومن ثم فإن مرحلة سيطرة أمراء زايرنجن من تاريخ الاتحاد السويسري أفادته في زيادة القوة العسكرية من خلال التحصينات والقلاع القديمة

والجديدة، وكذلك زيادة القوة الاقتصادية من خلال بناء المدن التجارية الجديدة، وكذلك السيطرة على الطرق التجارية التي تربط بين الشمال والجنوب داخل الإمبراطورية، وعلاوة على ذلك يأتي ما قام به أمراء زايرنجن من ربط تلك المنطقة بالتاج الإمبراطوري مباشرة، وهو ما أفاد في جعل الأباطرة هم خط الدفاع الأول عن أملاكهم في مقابل أطماع بقية أمراء الإقطاع داخل الإمبراطورية، وبالتالي هم المدافعون عن حقوق المدن السويسرية، وبالتالي فإن مرحلة سيطرة أمراء زايرنجن هي من أهم مراحل نشأة اتحاد الكانتونات (السويسرية)، حيث ساهموا في تقوية المدن السويسرية؛ على الرغم من وقعها تحت سيطرتهم، الأمر الذي ساهم في سعي آل هابسبرج نحو الاستحواذ على تلك المناطق؛ من أجل الاستفادة بالقوة الاقتصادية التي تشكلها.

ثالثاً : المدن السويسرية وسيطرة آل هابسبرج قبل وصولهم لعرش الإمبراطورية، وأثر ذلك على نشأة الاتحاد (الحلف) السويسري (١٢١٨ – ١٢٧٣م):

وبدخول تاريخ الاتحاد السويسري مرحلة سيطرة أسرة هابسبرج قبل وصولهم إلى عرش الإمبراطورية (١٢١٨ – ١٢٧٣م) تدخل المدن السويسرية تحت نير القوانين الإقطاعية بكل أنواعها، وهو ما دفع المدن السويسرية للدخول فر مرحلة جديدة وهي مرحلة الثورة ضد السطوة الإقطاعية لأسرة هابسبرج، التي سعت إلى استنفاذ القوة الاقتصادية والعسكرية لتلك المدن، ومن ثم تعد تلك المرحلة من تاريخ الاتحاد السويسري هي مرحلة الدفاع عن المكتسبات التي حصلت عليها تلك المدن خلال الفترات السابقة.

والواقع أنه عقب نهاية حكم أمراء زايرنجن عام ١٢١٨م عادت أجزاء كبيرة من أملاكهم للتاج الإمبراطوري، ومنها بطبيعة الحال عدد من المدن السويسرية، بوتشج Buchegg وزيورخ وبيرن Berne وسولور Soleure ولوبين Laupen وجومينين Gumminen وموارت Morat، وبالتالي تمتعت تلك المن بنوع من الحكم الذاتي في ظل التاج الإمبراطوري، أما عن بقية المدن السويسرية التابعة لأمراء زايرنجين فقد تصارعت على ضمها عدد من الأسر الإقطاعية داخل الهضبة السويسرية، وهي أسرة كيبورج Kiburg وأسرة سافوي Savoy وأخيرًا أسرة هبسبرج Habsburg، وتعد الأخيرة هي الأقوى من بين تلك الأسرة(٣٠).

حيث أن ظهور أسرة هابسبرج وزيادة قوتها داخل الأراضي السويسرية لم يبدأ بعام ١٢١٨م – *نهاية قوة أسرة زايرنجن* – بل ظهر خلال القرن الثاني عشر الميلادي، وكان هناك ثمة صراع فيما بينهم وبين آل زايرنجن، حول السيطرة على الهضبة السويسرية، ومع تطور قوة آل هابسبرج وزيادة مكانتهم حصلوا على حكم العديد من المناطق في الجنوب الألماني – منطقة الألزاس Elsass، وكذلك سيطروا على وسط وشرق سويسرا، حيث حصلوا على مدينة زيورخ، التي منحها لهم الإمبراطور فردريك الأول (١١٥٢ – ١١٩٠م)، وكذلك سيطروا على أراجو Aargau وزُوُجْ Zug وسويز Schwyz أونترفالدن Unterwalden ولوزيرن Lucerne، ومع بداية القرن

الثالث عشر الميلادي أخذوا يتوسعون في المناطق المجاورة لهم، وفي مقدمتها العديد من الضياع والمدن السويسرية، مما رفع شأنهم وزاد من قوتهم، وبالتالي فقدت العديد من الكانتونات السويسرية استقلالها(٣١).

ومع ازدياد قوة أسرة هابسبرج نجح زعيمها الكونت رودولف أف هابسبرج Rudolf Habsburg – *إمبراطور ألمانيا فيما بعد (١٢٧٣ – ١٢٩١م)* – في الاستحواذ على أملاك أسرة كيبورج في الهضبة السويسرية عام ١٢٦٤م، وذلك بعد وفاة آخر حكامهما هارتمان الخامس Hartmann V، وبالتالي أصبحوا يشكلون قوة إقطاعية عسكرية عظيمة في هذه المنطقة، وتنامت طموحاتهم وارتفعت بالسعي نحو اقتناص منصب الإمبراطور، وبالتالي سلبت أسرة هابسبرج مكتسبات المدن والكانتونات السويسرية التي حاذتها خلال الفترة الماضية، الأمر الذي دفعها للسعي نحو التحرر والعودة للحكم الذاتي في ظل الإمبراطورية(٣٢).

والواقع أن الأوضاع السياسية على مسرح الأحداث ساهمت في دفع المدن والكانتونات السويسرية نحو التحرر من نير الأسر الإقطاعية، وعلى رأسهم أسرة هابسبرج، فعقب تلاشي قوة آل زايرنجن عام ١٢١٨م، وتمكن أسرة هابسبرج من فرض سيطرتها داخل مملكة برجنديا ودوقية سوابيا ومنطقة الألزاس وغيرها من الأراضي الألمانية؛ كانت الإمبراطورية على موعد مع فصل جديد من فصول الصراع العلماني فيما بينها وبين البابوية، وذلك خلال عهد الإمبراطور فردريك الثاني (١٢١٢ – ١٢٥٠م)، وقد اختارت المدن السويسرية الوقوف إلى جانب الإمبراطور في صراعه مع الإمبراطوري، لحمياتهم من القوة الغاشمة للأرستقراطية الإقطاعية، وفي المقابل وقفت الأسر الإقطاعية إلى جانب البابوية، وتعد كانتونات أوري وسويز وأنترفالدن وزيورخ أشهر المدن السويسرية التي بدأت التحرك نحو استعادة مزايا الحكم الذاتي، التي افتقدتها خلال فترة سيطرة آل زايرنجن وبداية سيطرة آل هابسبرج(٣٣).

فعندما انتقلت السيادة على مدينة أوري عقب انتهاء حقبة أمراء زايرنجن عام ١٢١٨م إلى الكونت رودولف الأول هابسبرج، خشي سكان أوري من وقوعهم تحت هيمنة آل هابسبرج، وفقدان الحصانة الإمبراطورية التي كانوا يتمتعون بها، ومن أن تتحول تلك السيادة إلى سيطرة وراثية، لذلك لجأوا إلى الملك هنري السابع Henry VII (١٢٢٠ – ١٢٣٥م) نجل الإمبراطور فردريك الثاني – *الذي أدار شئون الإمبراطورية في ظل انشغال والده بالحملة الصليبية السادسة وكذلك بفرض سلطته داخل إيطاليا* – الذي منحهم ميثاقًا في ٢٦ مايو عام ١٢٣١م(٣٤) – *كما تقدم ذكره* – ووضعهم تحت الحماية والسيادة الإمبراطورية المباشرة مرة أخرى، وذلك عبر شراء هذا الحق بموجب عقد اتفاق مع آل هابسبرج، وبذلك تكون أوري قد أمنت حريتها بشكل قانوني، ومنذ ذلك الوقت وأصبحت أوري كانتونية حرة ومستقلة، ثم تطور الأمر بمنح الإمبراطور فردريك الثاني مدينة أوري حق إصدار العملة الخاصة بها من خلال مرسوم عام ١٢٤٣م، وبالتالي امتلكت

أوري كل مزيا الحكم الذاتي السياسية والاقتصادية مرة أخرى في ظل التبعية للتاج الإمبراطوري، وهو الأمر ذاته الذي حصلت عليه مدينة سويز، التي وقعت هي الأخرى تحت سيطرة آل هابسبرج، التي تحولت أيضاً إلى سيادة وراثية داخل سويز، الأمر الذي دفع سكان الأخيرة إلى السير على درب سكان أوري، مستغلين ضعف سيطرة آل هابسبرج، عقب الصراع الداخل الذي نشب بينهم منذ عام ١٢٣٢م، فأرسلوا مندوبين إلى فردريك الثاني، الذي كان مشغولًا بالحرب في إيطاليا، وعرضوا عليه تقديم المساعدة في مقابل الاعتراف باستقلال سويز، وتصبح تابعة للتاج مباشرة، وهو الأمر الذي وافق عليه الإمبراطور فردريك الثاني، وأصدر به مرسومًا في ديسمبر عام ١٢٤٠م، والأمر ذاته حدث مع العديد من المدن السويسرية، ومنها زيورخ وأنترفالدن وبيرن، ولم يكد ينتهي النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي إلا ونجحت غالبية المدن السويسرية في الحصول على المزايا الإمبراطورية في الاستقلال؛ إلا أن ضعف موقف الإمبراطور فردريك الثاني؛ عقب صدور قرار الحرمان الكنسي بحقه خلال مجمع ليون Léon عام ١٢٤٥م من قبل البابا أنوسنت الرابع Innocent IV (١٢٤٣ – ١٢٥٤م)، وهو ما عرض كافة الكانتونات السويسرية لخطر الحرمان؛ نتيجة تبعيتها للإمبراطور فردريك، وأصبح الوضع ينبئ عن إمكانية ضياع استقلالها مرة ثانية، الأمر الذي بدأت فيه تلك الكانتونات في التحول نحو تكوين الاتحادات السياسية فيما بينها – *خلال الفترة التي شملت نهاية عهد الإمبراطور فردريك الثاني، والفترة التي أعقبت وفاته* – من أجل الدفاع عن تلك المكتسبات، مستغلين في ذلك ما كانت تمر به الإمبراطورية من حالة ضعف(٣٥).

والواقع أن الإمبراطورية آنذاك كانت تعيش حالة من الضعف والتدهور، شملت الفترة (١٢٥٠ – ١٢٧٣م)، أي منذ وفاة الإمبراطور فردريك الثاني حتى انتخاب الإمبراطور رودولف أف هابسبرج؛ عرفت عادة بالفترة الشغارة الكبرى The Great Interregnum(٣٦)، وهى الفترة التي غلب عليها اشتداد الاتجاهات اللامركزية الإقطاعية – على حد قول المؤرخ رأفت عبدالحميد "*..... إن انتهاء حكم أسرة الهوهنشتاوفن بإعدام كونرادينو عام ١٢٦٨م .... أو حتى بوفاة فردريك الثاني سنة ١٢٥٠م، يحدد خاتمة حقبة معينة في تاريخ ألمانيا، فقد ولى الآن زمان الملوك الأقوياء بهاء وأقبل عصر أمراء الإقطاع، لقد حقق النظام الإقطاعي في ألمانيا آنذاك انتصارا باهرا، أو بعبارة أخرى، لقد فشل الألمان في التغلب على مشكلة الوحدة السياسية.*(٣٧)" – والنعرات المحلية Localism في ألمانيا، التي بلغت شأوا بعيدًا في فترة الاضطرابات والفوضى التي انتابت الإمبراطورية، حيث ظهر على الساحة عدد كبير من صغار الأمراء، الذين اشتبكوا مع بعضهم البعض في منازعات لا حصر لها بدافع من الأغراض الشخصية البحتة، هذا في الوقت الذي أخذت المدن تتحرر من سيطرة أمراء الإقطاع لتعزز نفوذها وامتيازاتها في ضوء مصالحها الخاصة – *وليس أدل على ذلك من قول فيشر : "إذا احتاج الباحث بعد ذلك كله دليلًا*

على ضعف الإمبراطورية الألمانية وسوء سياستها، أواخر العصور الوسطى، فليس أقرب إليه من تاريخ السويسريين في ذلك العصر[٣٨] – في الوقت الذي أصبح فيه نفوذ الإمبراطور اسميًا، وبالرغم من ذلك لم تشأ الكانتونات السويسرية الانفصال عن التاج الإمبراطوري في يوم من الأيام؛ ولم تكن ثورتهم ضد الإمبراطور، وعلى العكس من ذلك رغبوا في أن تكون تبعيتهم له مباشرة، وأن يتخلصوا من الطغيان الإقطاعي، الذي كان حائلًا بينهم وبينه، وحرمهم من الوصول إلى عدالته، وأضر بحياتهم ومصالحهم الاقتصادية، وطوال مراحل نشأة وتكوين الاتحاد السويسري لم ينل أحد من حقوق الإمبراطور والإمبراطورية بشيء، بل روعي النص بوضوح تام على هذه الحقوق في كل مناسبة من المناسبات، ومع ذلك عجزت سياسة الإمبراطورية الألمانية أن تفيد من ولاء هذا الشعب الباسل أو تستغله لمصلحتها[٣٩].

وبالعودة إلى وضع المدن والكانتونات السويسرية وموقفها من تدهور أحوال التاج الإمبراطوري في أواخر عهد الإمبراطور فردريك الثاني، نجد أنه من الملاحظ أنها عملت على الحفاظ على مكتسباتها السياسية والاقتصادية التي حققتها في عهد الإمبراطور فردريك الثاني وما سبقه من عهود من جهة، وسعي العديد منها للتخلص من سيطرة الأسر الإقطاعية عليها، وإعلان نفسها كانتونات مستقلة من جهة ثانية، ومناهضة الهجمة الشرسة، التي طلت عليهم من قبل النبلاء الإقطاعيين من جهة ثالثة، والسعي نحو إنشاء وإعلان الاتحادات السياسية والاقتصادية فيما بينها من جهة رابعة، وكل هذا من أجل عدم الرجوع للوراء بوقوعهم مرة أخري تحت نير حكم الأسرة الإقطاعية.

فعلي الرغم من تعرض المدن والكانتونات السويسرية للتهديد بالحرمان الكنسي؛ نتيجة لوقوفها إلى جانب الإمبراطور فردريك الثاني، عقب صدور قرار الحرمان الكنسي بحقه عام ١٢٤٥م، وتكرار محاولات الأسر الإقطاعية من أجل ضم تلك المدن تحت سيادتها؛ إلا أنها لم تكن مثبطة الهمة نحو تدبير وتأمين حرياتهم، وقاومت ذلك الأمر بكل قوة، فنجد أن الحركات التقدمية نحو تكوين اتحادات سياسية بين المدن والكانتونات السويسرية، فعلى الرغم من وضع كانتونية زيورخ تحت الحظر والحرمان؛ نتيجة لتحالفها مع الإمبراطور فردريك الثاني؛ إلا أنها لم ترضخ لذلك، وقامت حكومتها بطرد الرهبان الدومينيكان من أراضيها، لقيامهم بالتحريض ضد فردريك الثاني، وكذلك فعلت لوزرن Lucerne وكانتونات الغابات، التي ثارت ضد مقدم دير موراخ Murbach وكذلك كونت هابسبرج، والأمر الذي زاد من همة المدن والكانتونات السويسرية، وشجعها على المضي قدمًا نحو إنشاء الاتحادات السياسية والاقتصادية فيما بينها؛ تأثرها بوجود العصب السياسية والاقتصادية داخل الإمبراطورية الألمانية آنذاك، مثل : العصبة اللمباردية، وعصبة الهانزا وغيرهم، ومن ثم بدأت الشروع في تأسيس مثل هذا الاتحادات[٤٠].

كانت البداية مع التحالفات الاقتصادية والعسكرية بين المدن والكانتونات السويسرية، وذلك للحفاظ على الأمن وحماية حركة المرور في أوقات الخطر، وهي إحدى الخطوات في طريق إنشاء الاتحاد السويسري والحصول على الاستقلال فيما بعد، ففي عام ١٢٤٣م أعلن عن تحالف عسكريًا للهجوم والدفاع بين مدينة بيرن ومدينة فرايبورج، وذلك للتصدي لهجمات أسرة كيبورج Kiburg الإقطاعية، ولنفس السبب كان هناك تحالفًا بين بيرن ولوزيرن، وأيضًا كان هناك تحالفًا بين سويز وأنترفالدن Unterwalden وأوري Uri من جهة وبين لوزيرن وزيورخ من جهة أخرى بين عامي ١٢٤٥م و ١٢٤٧م، وتعد هذه أولى التحالفات السياسية والاقتصادية بين المدن السويسرية؛ تمهيدًا لتأسيس الاتحاد، حيث تطورت تلك التحالفات إلى حمل الأسلحة من قبل المدن السويسرية ضد الأسر الإقطاعية، وفي مقدمتها أسرة هابسبرج، الأمر الذي أجبر دوقات هابسبرج إلى زيادة التحصينات العسكرية ببنا قلعة جديدة، التي لم تجد نفعًا أمام هجمات المدن السويسرية، التي دمرت العديد من معاقل آل هابسبرج، وطرد العديد من النبلاء من أراضيهم، الأمر الذي أضطر معه رودولف أف هابسبرج إلى طلب المعونة من البابا أنوسنت الرابع، وبدوره قام الأخير بتهديد مدن سويز وسارنين Sarnen ولوزيرن بقرار الحرمان الكنسي؛ ورغم ذلك استمر نضال تلك المدن، ولم يتوقف إلا مع بداية مرحلة الشغور السياسي داخل الإمبراطورية عام ١٢٥٠م(٤١).

وفي الوقت الذي حافظت فيه كانتونية أوري على حريتها واستقلالها؛ خضعت كانتونات سويز وأنترفالدن مرة أخرى لأسرة هابسبرج، فعلى الرغم من حتمية استفادة المدن السويسرية من مرحلة الفوضى والتدهور وغلبة (قانون الغاب Club-Law)، التي دخلتها الإمبراطورية عقب وفاة الإمبراطور فردريك الثاني، للمضي قدمًا نحو تأسيس الاتحاد والحصول على الاستقلال التام؛ إلا أن الصراع على عرش الإمبراطورية، وتدهور الحالة الأمنية بداخلها؛ ترتب عليه زيادة الاعتداءات من قبل الأسر الإقطاعية على المدن الحرة في كل مكان، وبالتالي فقد نجحت أسرة هابسبرج عقب عام ١٢٥٠م في إعادة فرض سيطرتها على عدد من الكانتونات السويسرية مرة أخرى، أشهرها سويز وأنترفالدن، وبالمثل حاولت أسرة كيبورج بقيادة الكونت هارتمان Hartman السيطرة على عدد من الكانتونات السويسرية الواقعة في منطقة الغرب والتابعة للتاج الإمبراطوري؛ إلا أن كل من بيرن وموارت وبازل تصدت له، عير التحالف مع غريمه التقليدي بيتر الثاني Peter II كونت سافوي (١٢٣٠ – ١٢٦٠م)، أما في منطقة الشرق فقد تعرضت زيورخ للهجمات من قبل لوثولد Luthold بارون ريجنسبرج Regensberg وجيرانه من النبلاء، ولكنها تحالفت مع رودولف أف هابسبرج، وتصدت لتلك الهجمات، وتم تدمير العديد من قلاعهم وضمها خلال الفترة الواقعة بين عامي (١٢٦٦ – ١٢٦٨م)، وهكذا ظل الحال بين المدن

السويسرية والأسر الإقطاعية وفي مقدمتها آل هابسبرج حتى تم انتخاب رودولف هابسبرج إمبراطورًا عام ١٢٧٣م(٤٢).

وبالتالي فقد غلب على تاريخ المدن السويسرية خلال مرحلة الشغور الإمبراطوري (١٢٥٠ – ١٢٧٣م) تشكيل التحالفات العسكرية فيما بينها بغرض التصدي لهجمات الأسر الإقطاعية، وتأمين الطرق والمدن التجارية، وصاحب ذلك الاستعانة بالأسر الإقطاعية نفسها، واستغلال ما كان بينها من عداوة وصراعات، وإن كان هناك حقيقة أكدت عليها تلك الفترة، فيما يتعلق بتاريخ نشأة الاتحاد السويسري، فتتمثل فيا ترتب علي عدم وجود إمبراطور قوي على عرش الإمبراطورية، فحولت ما كانت تمتع به الكانتونات (البلديات) السويسرية من حرية في ظل تبعية للتاج الإمبراطوري إلى حرية عملية، منفردة بعيدة عن ذلك التاج، الذي لم تعد تعترف به تلك الكانتونات حتى تم انتخاب رودولف أف هابسبرج إمبراطورًا عام ١٢٧٣م، وسعت الكانتونات للتخلص من جميع أشكال وأنواع السيطرة، التي كان هناك محاولات لاستمرارها، سواء أكانت تلك السيطرة سياسية من قبل التاج الإمبراطوري أو إقطاعية من قبل النبلاء أو حتى دينية من قبل رجال الكنائس والأديرة.

رابعاً : **مشروع الاتحاد (الحلف) السويسري خلال عهد الإمبراطور رودولف الأول (١٢٧٣ – ١٢٩١م)**:

والواقع أن رودولف هابسبرج اختلفت سياسته تجاه المدن السويسرية قبل وبعد وصوله إلى حكم الإمبراطورية عام ١٢٧٣م، ولم تكن على نفس السيرة مع كافة تلك المدن، فهو قدم الدعم لعدد منها وعقد معها تحالفًا عسكريًا للدفاع المشترك قبل توليه العرش الإمبراطوري؛ وذلك استغلالًا لقوتهم في محاربته خصومه من القوي الإقطاعية المدنية مثل بارونات ريجنسبرج وتوجنبرج Toggenburg والدينية مثل أسقف بازل ومقدم دير القديس جال St. Gall، وبالتالي استغل كافة الظروف السياسية التي طغت على فترة الشغور الإمبراطوري، وأفاد من الحالة السياسية غير المستقرة عبر التحالف مع العديد من المدن السويسرية – *ومنها زيورخ وبازل وفنترتور Winterthur* – في الاستحواذ على أملاك جيرانه، الواقعة ضمن الأراضي السويسرية، مثل أملاك آل كيبورج Kiburg وآل سافوي Savoy، وذلك خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٢٦٣ و ١٢٦٧م، والأفرع الأخرى من آل هابسبرج Hapsburg –*كما تقدم ذكره* – خلال عام ١٢٧٣م، وبهذا يكون قد سيطر على ما عرف بسويسرا الألمانية – *الجزء الذي له أصول ألمانية ويتحدث اللغة الألمانية* – وظل على هذا النوع من التقارب السياسي مع المدن والكانتونات السويسرية حتى أعلن عن انتخابه إمبراطورًا عام ١٢٧٣م(٤٣).

أما عن وضع المدن والكانتونات السويسرية عقب تولي رودولف الأول هابسبرج عرش الإمبراطورية (١٢٧٣ – ١٢٩١م) فقد كانت على موعد خلال عهده مع مرحلة جديدة من مراحل نشأة الاتحاد السويسري، فعلى الرغم من استمرار التقارب السياسي بين المدن السويسرية وبين

الإمبراطور رودولف الأول؛ إلا أن الأخير كان لديه أهداف كبرى، تمثلت في إقامة ملك قوي لأسرة هابسبرج في أراضي الألب السويسرية، وهو ما يتصادم مع أهداف المدن السويسرية، التي مثلت قضية الحرية والاستقلال والحكم الذاتي لها بمثابة الأمر الذي بات من المحال التوقف عن الاستمرار في الكفاح من أجل الحصول عليه، وبالتالي فإن عهد رودولف الأول اتسم باستمرار الصراع بين آل هابسبرج وبين الأسر الإقطاعية على الاستحواذ على الإقطاعيات والمدن داخل ألمانيا – *منها المدن والبلديات السويسرية* – هذا من جانب، وبين آل هابسبرج والمدن والبلديات السويسرية – *وإن كان ذلك خلال النصف الثاني من فترة حكمه* – من جانب آخر.

والواقع أن رودولف عن تتويجه لم يكن في مركز يحسد عليه، فهو قد تولى عرش ألمانيا وهى في أصعب عصر من عصور تاريخها الوسيط، حيث وجد نفسه أمام مشاكل خارجية وداخلية شائكة، منها التصدي للمطالبين بعرش الإمبراطورية، ومنهم ألفونس العاشر Alfonso X ملك قشتالة وليون (١٢٥٢ – ١٢٨٤م)، وكذلك تحديد موقفه من البابوية وحقوق الإمبراطورية السابقة في إيطاليا، وأمام ذلك صرف رودولف جهود عهده الحافل بالحوادث الطوال نحو التركيز على ألمانيا فقط والتوسع ناحية الشرق، عبر انتزاع أوستريا Austria (النمسا) – *وهو ما نجح فيه عقب معركة مارخفيلد Marchfeld عام ١٢٧٨م*– من أيدي منافسه الإمبراطوري أوتوكار الثاني Ottokar II ملك بوهيميا Bohemia، وخلال ذلك استمر رودولف في سياسته التحالفية تجاه المدن السويسرية، وربما اضطر لذلك لتأمين الجبهتين الجنوبية والغربية لألمانيا – *وهي التي تقع بها الأراضي السويسرية*– حتى يتفرغ لحربة من أجل انتزاع النمسا من غريمه أوتوكار الثاني، وما أن نجح في ذلك – *كما سبق الإشارة عنه* – عام ١٢٧٨م؛ حتى قَلَبَ ظَهرَ المِجَن على المدن السويسرية، وأخذ يحيد عن الاعتدال الحكيم الذي غلف السنوات الأولى من حكمه تجاه حلفائه من السويسريين، وكما سبق فقد كان لديه مشروع يستهدف إنشاء ملك له ولقومه في منطقة الألب السويسرية، وسعى إلى ذلك في صراحة على نفس خطى آل زايرنجن، في محاولة منه لإعادة تكوين مملكة برجندي بحدودها القديمة مرة أخرى، حيث بدأ بمدينة بيرن Berne، حيث عبر بقواته نهر آر Aar[٤٤]، واتجه عام ١٢٨٨ لمحاصرة كانتونية بيرن، التي امتنعت عن دفع الضرائب للتاج الإمبراطوري، ولم تكتف بذلك؛ بل تجاوزت الأمر بالتحالف مع كل من آل سافوي والأسر الحاكمة في برجندي، من أجل القضاء على مخططاته، وأمام الصمود الذي حققته مدينة بيرن وشعبها أضطر رودولف إلى إنهاء الحصار، الذي لم يدم طويلًا في نفس العام؛ غير أنه عاود الكرة مرة أخرى في ربيع العام التالي (١٢٨٩م)، ونجح في إعادة فرض السيطرة على المدينة[٤٥].

واستمرارًا لسياسية الاستحواذ التي تحرك رودولف من أجل فرضها على المدن السويسرية، قام باستخدام كافة الحيل والأساليب لتحقيق ذلك، سواء أكان ذلك عن طريق الحرب أو عن

طريق شراء حق التبعية الإقطاعية من سادة هذه المدن، وخاصة تلك التي تؤول للتبعية الإقطاعية الدينية الكنسية والديرية، وتمكن من خلال ذلك من الاستحواذ على فرايبورج ونيوشاتل (Neuchatel) ولينزبرج (Lenzburg) إنسيديلن (Einsiedeln) بفافيرز (Pfaffers) إسكنجين (Seckingen) وجلاروس (Glarus) وأورسيرين (Urseren)، وغيرها من المدن والبلديات، التي فرض رودولف السيادة على أملاكهم، وهدد مصالح قادتهم، وبذلك زاد من حدة العداء بينه وبين تلك المدن، خاصة بعد زيادة الضرائب الثقيلة على كاهلهم، ولم يكتف بتوجيه سياسة الاستحواذ ضد المدن الصغير؛ بل تعداها إلى الكانتونات الكبيرة وفي مقدمتها أوري Uri، رغم تمتعها بالحكم الذاتي؛ إلا أنه طالب بحق التبعية الإقطاعية للتاج الملكي –*كونه ملك ألمانيا* – داخل أوري، وفي سويز وغيرها من مدن الوديان السويسرية قام بتعيين تابعين له من أسرة هابسبرج كمراقبين عنه للعدالة والمالية، وأخيرًا وقبل فترة وجيزة من وفاته عام ١٢٩١م نجح في الاستحواذ على مدينة لوزرن؛ وذلك عبر شراء حق تبعيتها من دير موراخ Murbach[٤٦].

وبالتالي وقبيل وفاة رودولف عام ١٢٩١م بدا وكأن سويسرا بأكملها عالقة في شباك أسرة هابسبرج، التي كان لديها طموح يتمثل في إقامة منطقة إقطاعية كبرى فوق أراضي جبال الألب، وعلى ضفاف نهر الراين، وفي الواقع أن تلك الأطماع الإقطاعية لأسرة هابسبرج وعلى رأسها زعيم الأسرة الإمبراطور رودولف داخل ألمانيا ومنها الأراضي السويسرية ربما يعود لطريقة اختياره رودولف نفسه ووصوله لحكم الإمبراطورية، فهو قد وصل إلى هذا المنصب عبر تصويت النبلاء في الانتخابات، التي أجريت من أجل ذلك، ووقع اختيارهم على رودولف المسن، زعيم أقوى البيوتات الإقطاعية، وبالتالي فقد وضعت له قيودًا على سلطته، ومنها حماية مصالح النبلاء الذين انتخبوه، وذلك عن طريق التوسع في فرض التبعية الإقطاعية على جميع المدن الحرة داخل ألمانيا ومنها المدن السويسرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو يعلم تمام العلم أنه سيأتي اليوم الذي من الممكن أن ينتقل فيه العرش عبر نظام الانتخاب –*الذي أقر كنظام اختيار الإمبراطور بديلًا عن نظام الوراثة* – إلى أسرة أخرى، ومن ثم فقد سعى وأسرته – كما سبق ذكره – إلى تكوين مملكة كبرى على حساب المدن والبلديات الحرة، وعلى الرغم من النجاح الذي حققته أسرة هابسبرج بقيادة الإمبراطور رودولف داخل الأراضي السويسرية؛ إلا أنهم كانوا يشعرون بالقلق الدائم من ثورة شعوب المدن السويسرية، ومن إمكانية تكوين الحلف السياسي الدائم فيما بينهم، الذي من شأنه يهدد كافة مشاريع آل هابسبرج في المنطقة.

خامساً : الميثاق الدائم (الأعظم) لتأسيس الاتحاد (الحلف) السويسري عام ١٢٩١م والنتائج المترتبة عليه:

بوفاة الإمبراطور رودولف الأول في يوليو من عام ١٢٩١م تنتهي إحدى مراحل نشأة الاتحاد السويسري، التي اتسمت بالعديد من السمات، يأتي في مقدمته إيمان المدن السويسرية بقوتها السياسية والاقتصادية، التي جلبت عليها هجمات الأسر الإقطاعية، يضاف إلى ذلك

تحرك تلك المدن من أجل الحصول على الحرية والحكم الذاتي في ظل تبعية للتاج الإمبراطوري، علاوة على تصدى تلك المدن لحكم الأسر الإقطاعية، الذي تعدد من قبل أسرة مثل زايرنجن وسافوي وكيبورج وأخيرًا هابسبورج، ومن أجل ذلك بدأت في تأسيس تحالفات واتحادات عسكرية بغرض الدفاع المشترك وحماية الأمن والطرق التجارية، لكن وعقب وفاة رودولف كانت المدن السويسرية على موعد مع مرحلة جديدة ضمن مراحل نشأة الاتحاد السويسري، تعد هي البداية الحقيقية للتاريخ السويسري.

وفي الواقع أن المرحلة السابقة على عام ١٢٩١م كانت بمثابة الحاضنة السياسية للمدن السويسرية، أو بمثابة المدرسة التي تلقت بداخلها تلك المدن أصول الكفاح السياسي من أجل الحرية، فمدن مثل أوري وسويز وأنترفالدن وقد حرمت من دعم التاج الإمبراطوري عقب تحكم أسرة هابسبرج وتولي رودولف الأول حكم الإمبراطورية أدركت أنه لا مفر من إعلان اتحاد سياسي دائم فيما بينها، مع الحفاظ على حقوق كل مدينة، في صورة أشبه بالاتحاد الفيدرالي، وبالتالي وعقب وفاة رودولف في الخامس عشر من يوليو عام ١٢٩١م عادت المدن السويسرية إلى سيرتها الأولى، وسلكوا المسار الذي اتبعوه نحو الحرية والاستقلال والتمتع بالحكم الذاتي بدءًا بعهد الإمبراطور فردريك الثاني مرورًا بفترة الشغور الإمبراطوري، وهو ما أوقفه رودولف خلال عهده، وأخذت تلك المدن – *وخاصة تلك التي تقع في شرق وغرب الأراضي السويسرية* – في إعلان الثورة ضد آل هابسبرج، وكانت البداية من خلال اجتماع تم بين المدن الثلاث أوري وسويز وأنترفالدن في ١ أغسطس عام ١٢٩١م، وأقسموا على الانضمام في تحالف سياسي أبدي، من أجل الدفاع عن مصالح سكان المدن، وتطلعاتهم نحو الحرية والحكم الذاتي المستقل، وقد أعلن ذلك من خلال الميثاق الدائم (الأعظم) لهذا الاتحاد[٤٧].

هذا وقد احتوى نص الميثاق على ديباجة شرح من خلالها العوامل التي دفعت المدن لعقد هذا التحالف، والأسس والضوابط القائم عليها، واحتوى كذلك على ثلاث عشرة مادة، فصلت شروط الاتفاق في وضوح تام، ولعل من أهم هذه الشروط ما يتعلق بأن تكون التبعية والطاعة لسيده وليس لغيره، عدم الاعتراف بأي قضاة من خارج المدن الثلاث، تشكيل هيئة من حكماء المدن الثلاث للفصل في القضايا، وعلى الجميع الالتزام بحكمهم، تجريم القتال بين سكان المدن الثلاث، حماية الأرواح والملكية العامة والخاصة، الدفاع المشترك على المدن الثلاث وسكانهم، وغيرها من البنود، التي حواها هذا الميثاق، وتعتبر هي الأولى من نوعها[٤٨].

وبالنظر إلى نص الميثاق نجد أنه نص وفي وضوح تام في الديباجة – *المقدمة* – وكذلك ضمن الشروط الثلاثة عشر؛ على إعلان الاتحاد السياسي الدائم بين المدن الثلاث – *أوري وسويز وأنترفالدن* – منذ عام ١٢٩١م، ومن ثم فإن كل ما سبق الإعلان عن هذا الاتحاد كان مجرد اتحادات سياسية مربوطة بوقت محدد وبمهمة محددة، بخلاف أول اتحاد عام ١٢٩١م،

فهو يعد نواة للاتحاد السياسي الكونفيدرالي الدائم، أو بالأحرى هو الأساس التاريخي للاتحاد السويسري، كذلك جاء الميثاق ليوضح أن هذا التحالف كان موجهًا بالدرجة الأولى ضد الأسر الإقطاعية، وليس لشخص الإمبراطور أو حاشيته، فتلك المدن كانت تهدف في المقام الأول إلى توفير القوة اللازمة لحمياتهم، والتي عجزت الأسر الإقطاعية عن تقديمها(٤٩).

وبالرغم من أن هذا الميثاق كان بين ثلاث كانتونات فقط دون بقية الكانتونات السويسرية؛ إلا أنه جاء ليكلل مجهود المدن السويسرية طوال المرحلة الأولى – *وهي مرحلة تأسيس المدن الحرة والحصول على الحكم الذاتي* – لظهور ونشأة الاتحاد السويسري، وبالتالي هو يعد نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة جديدة أخري، ومن ثم فإن هذا الميثاق يعد بمثابة حجر الأساس والوثيقة التأسيسية لميلاد الكنفدرالية السويسرية، حيث أعلنت هذه الولايات استقلالها وخروجها عن سلطة آل هابسبرج، ثم انضمت إليها بعد قليل الولايات الأخرى بقصد مقاومة آل هابسبرج، ومن ثم دخلت الحلف السويسري في مرحلة جديدة من مراحل انتزاع الاعتراف بالاستقلال من آل هابسبرج، ضمت مرحلتين : الأولى وعرفت بمرحلة الحروب الاستقلالية الدفاعية وشملت الفترة التاريخية الواقعة بين عامي (١٣١٥ – ١٣٨٨م)، والثانية عرفت بمرحلة الحروب الاستقلالية الهجومية خلال القرن الخامس عشر الميلادي، حتى نجح الاتحاد السويسري من انتزاع ذلك الاعتراف من أحد أبناء هابسبرج وهو الإمبراطور مكسمليان الأول Maximilian I (١٤٨٦ – ١٥١١م) وذلك من خلال معاهدة بازل عام ١٤٩٩م.

النتائج وأهم التوصيات :

- يعود الفضل لما وصلت إليه سويسرا في العصر الحالي إلى القواعد التي تأسست عليها في العصور الوسطى، والتي يأتي في مقدمتها التمسك بالحرية وسعي الكانتونات Cantons المكونة لها نحو تأسيس الاتحاد فيما بينها ومحاربة كافة صور وقوانين النظام الإقطاعي، وهو ما يعد جذورًا لسياسة الحياد، التي تتبعها سويسرا الحالية.
- كان من عوامل قوة المدن السويسرية وهي في طريقها نحو تأسيس الاتحاد الكونفدرالي تشكل نسيجها السكاني من قبائل الهيلفيتي والرايتي والأليماني وغيرها، وهي قبائل عرفت ببأسها الشديد، وعشقها الدائم للحرية والاستقلال، وعدم الرضوخ لتسلط الحكام.
- يعتبر الموقع الجغرافي للمدن السويسرية من أهم المميزات، وأحد عوامل نشأة الاتحاد السويسري، لما ترتب عليه من نتائج سياسية واقتصادية على المنطقة بصفة خاصة، وعلى الإمبراطورية وأوروبا بصفة عامة، حيث ترتب على سيطرة المدن والبلديات السويسرية على هذا الموقع الجغرافي تحكمها في الطرق التجارية، التي تربط بين أجزاء الإمبراطورية شمالًا وجنوبًا، وكذلك جعل من المدن السويسرية عبارة عن أسواقً كبرى، كانت بمثابة مصفاة لتجارة أوروبا بين شقيها الجنوبي والشمالي، وعلاوة على ذلك فقد

شكل الموقع الجغرافي أهمية سياسية للمدن السويسرية والإمبراطورية وأوروبا على حد سواء، فهوا أفاد المدن السويسرية في حروبها ضد الأسر الإقطاعية وخاصة ضد من وصل منها –*أسرة هابسبرج* – لحكم الإمبراطورية، كذلك تسبب نضال المدن السويسرية من خلال موقعها الجغرافي في تلاشي أمل دوام الوحدة بين إيطاليا وألمانيا، وذلك عندما صرف رودولف الأول أنظاره عن ذلك إلى التوجه شرقًا نحو ضم النمسا، وبالإضافة لما سبق فإن المميزات التي ترتبت على الموقع الجغرافي للمدن السويسرية شكلت الدافع الرئيس لاهتمام التاج الإمبراطوري بتلك المدن، وكذلك هجوم الأسر الإقطاعية عليها، وذلك للعوائد الاقتصادية التي يدرها ذلك الموقع على من يسيطر عليه.

- لم تركن القبائل السويسرية للقوى الخارجية التي أرادت السيطرة على أراضيها، بدءا من الحقبة الرومانية وحقبة الفرنجة، مرورًا بسيطرة الأسر الإقطاعية الكبرى، وخاضت ضد كل هؤلاء معارك عديدة، كانت عنوانًا لطبيعة هذه الشعوب، المحبة للاستقلال والرافضة لأي نوع من السيطرة.
- يعود تأسيس المدن السويسرية إلى القبائل السويسرية وكذلك الرومان والفرنجة والأسر الإقطاعية مثل آل زايرنجن، وقد تم تأسيس أغلبها على الممرات التجارية، سواء أكانت ممرات الأنهار مثل نهر الراين وروافده، أو الممرات الجبلية مثل مدن الغابات، ونتيجة لذلك تنوعت ثقافة وألسنة سكانها ما بين الألمانية واللاتينية والفرنسية.
- ترتب على دخول إمبراطورية الفرنجة في مرحلة الضعف والتدهور خلال القرن التاسع الميلادي، وبالتالي التقسيمات الإدارية بين أباطرة وأمراء تلك الأسرة؛ أن توزعت الأراضي المشكلة للمدن السويسرية ضمن أملاك القسمين الشرقي والأوسط لورثة الإمبراطورية الكارولنجية، وترتب على ذلك أن شكلت تلك المنطقة – أراضي القبائل السويسرية – مسرحًا للنزاع السياسي، خاصة بعد ظهور مملكة برجندي ودوقية سوابيا.
- حاربت القبائل السويسرية بكل قوة كافة صور وأشكال وقوانين النظام الإقطاعي بداية من القرن التاسع الميلادي، وأرادت أن تصنع لنفسها وضعًا سياسيًا مختلفًا، يعتمد على الاحتماء بالتاج الإمبراطوري في مواجهة هجمة أمراء الإقطاع، فهي علمت أنها إذا ما وقعت تحت سيطرة هؤلاء الأمراء؛ فإن مشاريع الاستقلال والحرية سوف تنتهي إلى الأبد، لذا خاضت معارك مستمرة ضد النبلاء الإقطاعيين.
- سعت القبائل السويسرية نحو الحصول على الحكم الذاتي من القوى السياسية وخاصة التاج الملكي أو الإمبراطوري، ومن ثم تشكيل المدن الحرة، واتضح ذلك من خلال الحصول على الامتيازات الاقتصادية والسياسية وعلى رأسها حق سك العملة الخاصة بالمدينة ومن ثم تحولها إلى مدينة حرها أو ما عرف بالكانتونات، ومن ذلك ما حصلت

عليه مدينة زيورخ من قبل الملك لويس الألماني عام ٨٥٣م، فيلينجن من الإمبراطور أوتو الثالث عام ٩٩٩م، وكذلك ما حصلت عليه سويز من قبل الإمبراطور هنري الثالث عام ١٠٤٥م، وأيضًا ما حصلت عليه أوري عام ١٢٣١م من قبل الإمبراطور فردريك الثاني، وبالتالي فإن المدن السويسرية لم تشأ الانفصال عن التاج الإمبراطوري؛ بل عملت على الاحتماء به أمام بطش وتحكم الأسر الإقطاعية، ووافقت على التبعية للتاج الإمبراطوري بديلًا عن التبعية لأمراء الإقطاع.

- ساهم دخول الإمبراطورية في مرحلة الشغور السياسي (١٢٥٠ – ١٢٧٣م) والصراع الذي دار حول العرش، في دخول المدن السويسرية في مرحلة جديدة من مراحل النزاع مع الأسر الإقطاعية؛ التي وفي مقدمتها آل هابسبرج حاولت استغلال الفرصة في السيطرة على تلك المدن، غير أن تلك الفترة كانت بمثابة المدرسة التي تلقت بداخلها المدن السويسرية أفضل الدروس حول التمسك بالحكم الذاتي، وناضلت ضد أقوى الأسر وهي أسرة هابسبرج، وبالتالي بدأت المدن السويسرية في اتباع سياسة تشكيل التحالفات العسكرية والاقتصادية، من أجل الدفاع عن نفسها أمام هذه الهجمات، ولكي تحمي الطرق والأسواق التجارية.
- ترتب على سياسية الاستحواذ التي اتبعتها أسرة هابسبرج ضد المدن السويسرية، وخاصة بعد تربعها على عرش الإمبراطورية من خلال قائدها الإمبراطور رودولف الأول؛ أن اقتنعت المدن السويسرية بأن الوقت قد حان لتأسيس اتحاد سياسي قوي ودائم، لكي يكون نواة لاتحاد فدرالي دائم وقوي، يحمي مصالح المدن الحرة، مع الحفاظ على حقوق كل منها، فيما يتعلق بالمزايا السياسية والاقتصادية والقانونية.
- تأثرت المدن السويسرية في طريق اتحادها وتأسيس الحلف بالعصب الأوروبية التي عاصرتها، مثل العصبة اللمباردية والسوابية والهانزا وغيرها؛ ولكنها اختلفت عن تلك العصب في المضمون، ففي الوقت الذي غلب فيه الطابع التجاري على نشاط العصب الأوروبية، وكذلك غلبت الطبقة الرأسمالية على القوي المشكلة لها؛ نجد أن الطابع السياسي وكذلك طبقة المزارعين هما الغالبان على شكل الكانتونات السويسرية ثم على الاتحاد الذي ظهر فيما بعد.
- تأثر تاريخ نشأة الاتحاد السويسري بالمشروع الكبير لأسرة هابسبرج، والذي تشكل منذ الوهلة الأولى لظهور هذه الأسرة، التي سعت منذ البداية على تكوين ملك لها على حساب كل من جاور أملاكها، وبالتالي اصطدمت طموح المدن السويسرية بطموح هذه الأسرة، خاصة عقب وصول رودولف الأول للعرش الإمبراطوري عام ١٢٧٣م، وما ترتب على سياسته الرامية إلى ترك إيطاليا والتركيز على ألمانيا وعلى التوسع ناحية

الشرق، وهو الأمر الذي تكلل بضم النمسا، ثم ما ترتب على استقرار مبدأ الانتخاب في اختيار الإمبراطور، وتأكد رودولف بإمكانية انتقال العرش لأسرة أخرى، الأمر الذي دفعه وأسرة هابسبرج لتكوين مملكة كبرى لهم في هذه المنطقة، يرتكزون عليها عقب ترك الحكم.

- يعد الميثاق الدائم عام ١٢٩١م تتويجًا لنضال المدن السويسرية، على الرغم من كونه قد تم بين ثلاث ولايات هي أوري وسويز وأنترفالدن؛ إلا أن النتائج المترتبة عليه من انضمام العديد من المدن السويسرية إلى هذا الحلف فيما بعد، وكذلك بداية حروب الاستقلال الدفاعية، والأهم من ذلك اعتماد الاتحاد السياسي الدائم، بديلًا عن التحالفات الدفاعية المؤقت، ومن ثم فإن إعلان الميثاق الدائم لاتحاد عدد من المدن السويسرية في هذا العام كان بحق بداية التأسيس للدولة السويسرية.
- لم يقف التنوع العرقي أو اللغوي أو الثقافي حائلًا أمام الرغبة في إنشاء وحدة سياسية وثقافية بين الكانتونات السويسرية، التي كانت بحق خير مثال يجسد ذلك.
- توصي الدارسة من أجل اكتمال الصورة عن الاتحاد السويسري ونضال المدن السويسرية من أجل انتزاع الاعتراف الرسمي من قبل الإمبراطورية والقوي السياسية بداخلها، بضرورة استكمال موضوع البحث، وذلك من خلال دراسة الاتحاد السويسري خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (الحروب الدفاعية والهجومية)، من أجل الاستقلال حتى مؤتمر بازل عام ١٤٩٩م، الذي اعترفت من خلاله الإمبراطورية الرومانية المقدسة بوجود الاتحاد السويسري.

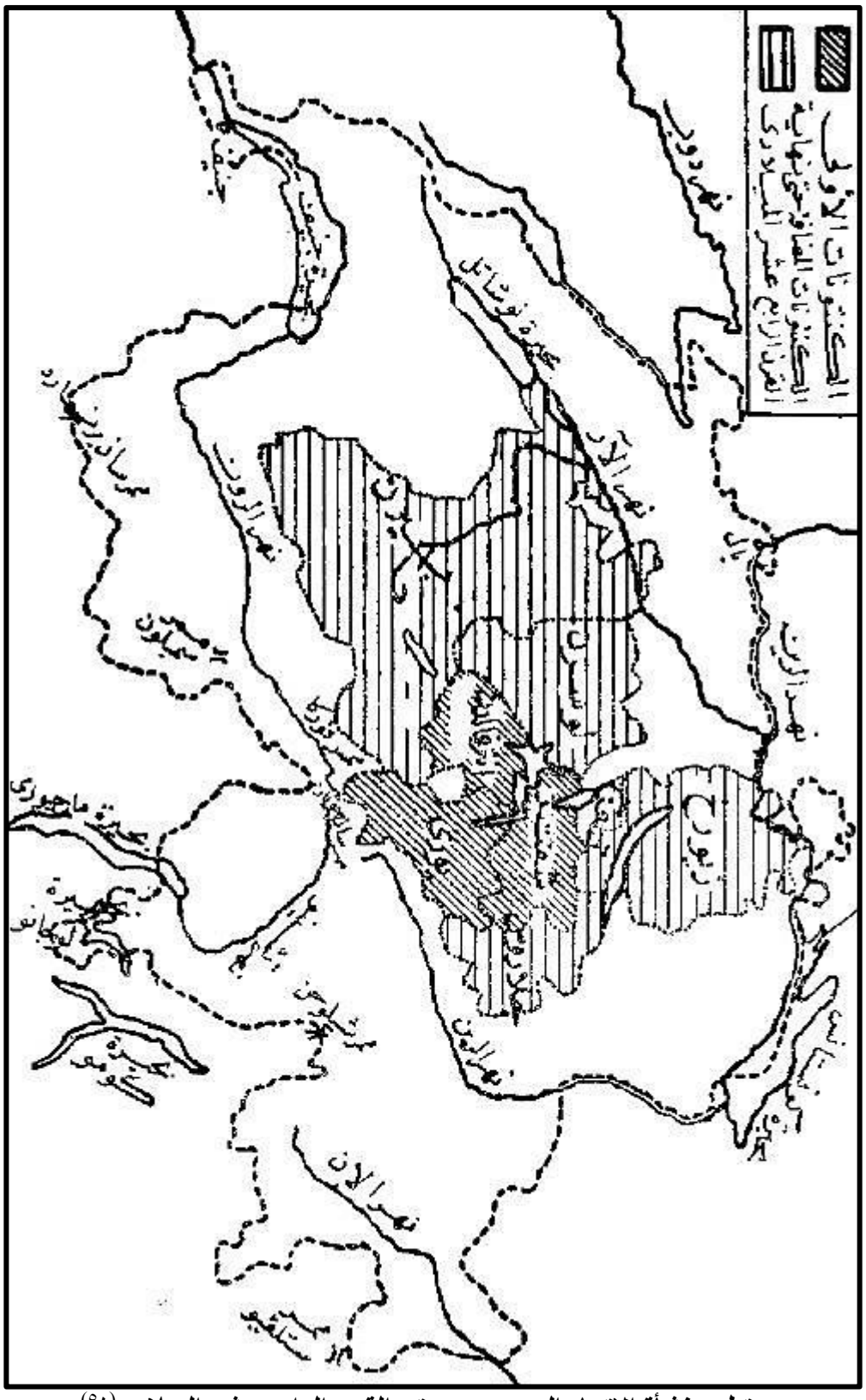

تطور نشأة الاتحاد السويسري حتى القرن الرابع عشر الميلادي[٥٠].

الهوامش:

(•) بالرغم من أن اسم (سويسرا) لم يكن معتمدا إلا خلال القرن السابع عشر الميلادي؛ وكذلك اعتماد عدد من الباحثين اسم (عصبة مدن ألمانيا العليا) على هذه المناطق؛ إلا أن الدراسة تري اعتماد اسم (الاتحاد السويسري) لتلك الأراضي، ويعود ذلك لعدة أسباب منها: أن أغلب المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة تعتمد بين طيات صفحاتها اسم (الاتحاد السويسري) (The Swiss Confederacy)، علاوة على أن اشتقاق اسم سويسرا يعود إلى كانتونية سويز Schwyz، وهي تأتي ضمن أول الكانتونات المؤسسة لهذا الاتحاد، وأخيرًا فإن الاسم المعروفة به الآن هذه المناطق هو سويسرا، ومن ثم وقع الاختيار على هذا الاسم لإيضاح مقصد الدراسة للقارئ.

(••) مدرس تاريخ وحضارة العصور الوسطى، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا،
mohmed.morsy@mu.edu.eg

(١) فشر (هـ. أ. ل.) (١٩٥٤): تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ق٢، ترجمة محمد مصطفى زيادة وأخرون، (دار المعارف بمصر، القاهرة)، ص ٣٤٨.

(٢) لوكوف (ج.) (٢٠١٥): هل ولدت أوربا في العصر الوسيط، تعريب وتقديم محمد حناوي ويوسف نكادي، ط١، (مطبعة مفكر، السنغال)، ص ١٦٩.

(٣) إحدى كانتونات سويسرا -عصبة مدن ألمانيا العليا في العصور الوسطى- تقع فوق جبال الألب، وتعد المنطقة الجغرافي الرابطة بين شمال الإمبراطورية الرومانية المقدسة وجنوبها، أو بين ألمانيا وإيطاليا، ونتيجة لسعيها نحو الحصول على الحكم الذاتي دخلت في صراعًا مع أمراء الإقطاع خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين؛ نجحت في النهاية من تحرير نفسها من قبضة أسرة هابسبرج - صاحبة السيطرة الإقطاعية عليها- بموجب مرسوم عام ١٢٣١م الصادر من الإمبراطور فردريك الثاني Frederick II (١١٩٨ – ١٢٥٠م)، الذي منحها الحكم الذاتي في إطار الإمبراطورية، الأمر الذي أصل للعداء التاريخي بين كانتونات سويسرا ومنها أوري وبين الأمراء الإقطاعيين من أسرة هابسبرج.

C.F:Schelbert (Leo), (2007), Historical Dictionary of Switzerland, (The Scarecrow Press, Inc. Lanham, Maryland), pp.359-361; Dahmus (J.), (W.D.), Medieval civilization, (MacMillan publishing company, New York), p. 671.

(٤) قبائل الهلفيتي: تعود أصولها إلى شعوب الكلت، عرفت بأسماء متعددة إلى جوار هلفيتي Helvetii، منها: إلفي Elvii، وإلفيتوي Elvetioi، وإليوتي Eluetii، وغيرها من الأسماء، ونتيجة لوقوعهم تحت ضغط الشعوب الجرمانية في القرن الثاني قبل الميلاد هاجروا من جنوب ألمانيا إلى ما عرف فيما بعد بشمال سويسرا، وهناك نجحوا في تكوين العديد من المستوطنات الكبرى، التي كانت تقع في الغالب بالقرب من المياه الصالحة للملاحة، كانت بمثابة مراكز لجوء وخدمة اقتصادية للمدن والريف على حد سواء. غير أن أهم نتيجة لتحركات شعوب الهلفيتي وهجراتهم نحو منطقة جبال الألب وما حولها؛ تتمثل في إنشاء مملكة هلفيتيا Helvetia - *التي هي في الأساس تشكل أغلب الأرض التي أسس عليها الاتحاد السويسري فيما بعد* - عبر نهر الراين مع بداية القرن الأول قبل الميلاد، وخلال عام ٦١ ق.م ونتيجة لوقعهم تحت ضغط قبائل الألیمان قرر أكثر من ٢٥٠.٠٠٠ ألف من الهلفيتيين الهجرة إلى بلاد الغال الغربية، الأمر الذي وضعهم في مواجهة مباشرة مع الرومان، الذين نجحوا بقيادة قيصر في هزيمة قبائل الهلفيتي عام ٥٩ ق.م، واستحوذوا على أراضيهم، وذلك عقب عدة معارك على مدار عدة سنوات، وضمها إلى أملاك الرومان، الأمر الذي دفعهم للعودة إلى شمال سويسرا مرة أخرى، ومع استمرار ضغط الرومان عليهم في عهد أغسطس؛ رضخ الهلفيتيون للرومان وتحولوا إلى حلفاءً لهم وحماة لحدودهم، وخاصة ضد أعدائهم مثل قبائل الألیماني، الذين نجحوا في فرض سيطرتهم على أجزاء كبيرة من أراضي هلفيتيا بحلول منتصف القرن الخامس الميلادي، وبالرغم من ذلك ظل اسم هلفيتيا مستخدمًا، حتى أصبح فيما بعد أحد الركائز الأساسية لظهور الاتحاد السويسري فيما بعد.

C.F:Schelbert (Leo), (2007), pp. ; Dahmus (J.), (W.D.), pp.163-165.

(٥) قبائل الرايتي : هي إحدى مجموعات قبائل جبال الألب، واختلف المؤرخون حول أصل تسميتهم، فهو غير مؤكد من وجهة نظر البعض، الذين نادوا بأنه اسم مستعار استخدمته هذه القبائل لوصف نفسها، أو أطلقته الشعوب الأخرى عليهم لوصفهم، في حين ذهب البعض إلى أن تسميتهم بهذا الاسم ليكون ترجمة لمصطلح "أهل الجبال" كونهم من سكان جبال الألب، في حين ذهب البعض إلى أن هذه التسمية تعود إلى اسم قائدهم وقت الانتقال من إلى مناطق جبال الألب وهو ريتس Raetus، وذهبوا أيضًا إلى أن أصل التسمية يعود إلى ريتيا Reitia الإلهة الرئيسية لمنطقة شمال شرق إيطاليا، هذا وقد وصفت بعض المصادر القديمة هذه القبائل

بأنهم ضمن شعوب الأتروسكيين Etruscanian، وينادي البعض بأنهم نزحوا خلال القرن الخامس قبل الميلاد من منطقة وادي بو Po في بلاد الغال إلى وديان جبال الألب، في الوقت الذي يرجح في البعض الآخر بأنهم من السكان الأصليين لجبال الألب، كانت العناصر التي سكنت منطقة شمال شرق إيطاليا يتحدثون اللغة الرايتية، وذلك حتى أواخر القرن الثالث الميلادي، في الوقت الذي كانت فيه العناصر التي سكنت في سويسرا يتحدثون اللغة الكلتية، ومن ثم فقد سكنت قبائل الرايتي عدة مناطق في وسط أوربا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ومنها الأجزاء الوسطى من أراضي الاتحاد السويسري، وخاصة مناطق جبال الألب وجنوب نهر الدانوب، وعقب عام ١٥ ق.م نجح الرومان في السيطرة على قبائل الرايتي وأصبحت أراضيهم جزءً من أراضي الإمبراطورية الرومانية، وقاموا بتأسيس مقاطعة ريتيا Raetia، وأخذوا في تحدث اللاتينية شئيًا فشيئًا، وعقب انتهاء الحقبة الرومانية سقطت أراضي ريتيا في يد القوط الجرمان بقيادة زعيمهم ثيودريك Theodoric، وخلال القنر العاشر – عام ٩١٧م- أصبحت جزءً من دوقية سوابيا، إلى أن أصبحت جزءً من الاتحاد السويسري.

C.F: Pliny (The Elder), (1855), The natural history of Pliny, vol.1, Trans. by Bostock (J.) & Riley (H. T.), (Taylor and Francis, London), p.254; Polybius, (1968), The Histories of Polybius, trans. by Paton (W. R.), (William Heinemaxn LTD, London), p.325; Grattan (T.G.), (1832), The history of Switzerland from B.C. 114, to A.D. 1830, (Carey & Lea, Philadelphia), pp.26-27; Vieusseux (A.), (1840), The History of Switzerland, (The Society for the Diffusion Useful Knowledge, London), p.1, 7-8, 14-15, 17, 22, 24.

(6) Caesar (Gaius Julius), (1982), The conquest of Gaul, Trans. by Handford (S.A.), (Penguin books, London), pp.28-32; Wilson (J.), (2007), The history of Switzerland, (Cosimeo Classics, New York), pp.6-11; Sacket (W.), (2003), Peoples of Europe: Slovenia-Switzerland (Marshall Cavendish, London), p.513.

(٧) قبائل الأليماني Alemanni أو Alamanni أو Alamani أو Alemannians أو Alemans وكلها تعني ألماني، وهم أحد الشعوب الجرمانية، يعود أول ظهور لهم داخل منطقة جبال الألب، ويظهر أول ذكر لهم من خلال سجلات عام ٢١٢م تقريبًا، وفي العام التالي (٢١٣م) تعرضوا للهجوم من قبل الرومان؛ الذين دأبوا على تكرار محاولات احتلال تلك المناطق، ومنها ممتلكات العناصر الأليمانية. ومع استمرار الضغط على أراضيهم وطمعًا في الحصول على ملك جديد؛ تحركت قبائل الأليماني نحو مناطق الأزاس Alsace في شمال سويسرا، واستقروا في تلك المنطقة، وعلى كل الممتلكات التي خلفها الرومان المنسحبين، وعقب عام ٤٩٦م توقفت توسعاتهم أمام هجمات الفرنجة بقيادة كلوفس Clovis (٤٦٦ – ٥١١م) مؤسس مملكة الفرنجة التي سيطرت في نهاية المطاف على معظم أوربا الغربية، وشكل قبائل الأليماني جزءً من دوقية سوابيا، وتوزعت داخل مقاطعات سكسونيا وبافاريا ولوثرنجيا.

C.F:Schelbert (Leo), (2007), p.6; Dahmus (J.), (W.D.), p.31-32.

(8) Doc.No.(9) (The treaty of Verdun, 843 A.D.), in ***Select documents of European History, 800-1492, vol.I,*** ed. and trans. by Laffan (R. G.), (Henry Holt and Company, 1930.), pp.8-9; Wilson (J.), (2007), pp.8-23;

وأنظر كذلك : اليوسف (ع. أ.) (١٩٦٧) ، العصور الوسطى الأوروبية ٤٧٦ – ١٥٠٠، (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت)، ص ١٠٦-١٠٨.

(9)ZSchokke (H.), (1855), The history of Switzerland, (C. S. Francis & CO., London), pp.16-17; Wilson (J.), (2007), pp.23-25.

(10) Grattan (T.G.), (1832), pp.37-38; Wilson (J.), (2007), p.25.

(11) Vieusseux (A.), (1840), p.3-19; Wilson (J.), (2007), pp.25-26;

وأنظر كذلك : فشر (هـ. أ. ل.) (١٩٥٤)، ق٢، ص ٣٤٨.

(١٢)سويز Schwyz أو شفتز Schwiz أو شافهاوزن Schaffhausen من أهم الكانتونات السويسرية في العصور الوسطى، تقع على نهر الراين، وظهر اسمها للمرة الأولى في الوثائق خلال عام ١٠٤٥م؛ عندما تم الاعتراف بعملتها المستقلة من قبل ملك ألمانيا هنري الثالث، وبذلك أصبحت بمثابة المدينة الدولة، وهي التي اشتق منها اسم سويسرا Shweize - *الذي أصبح في العصر الحديث سويسرا* *Switzerland* - عند السويسريين، ويتضح ذلك الاشتقاق من خلال مقارنة اسم إقليم شيفتز Schwiz باللفظة الإنجليزية لاسم

سويسرا (Schwyz) وهى ترجمة لاسم (سويسرا Switzerland) بالسويسرية الحديثة، وكذلك يتضح مع مقارنة اسم سويسرا بالفرنسية (Swisse).

C.F: Schelbert (Leo), (2007), pp.302-306; Dahmus (J.), (W.D.), p.619.

وأنظر كذلك: فشر (هـ. أ. ل.) (١٩٥٤)، ق٢، ص ٣٤٨، هامش ١.

(13) Doc.No.(138) (Heinrich verleiht dem Grafen Eberhard das Recht), in ***(Schaffhausen eine eigne Münze zu haben), in Monumenta Germaniae historica, Tomvs.5 (Die Urkunden Heinrichs III),*** ed. Fontibvs (S.A.), (Apvd Weidmannos, Berolini, 1931), pp.173-174.

(14) Tschudi (A.), (1734), Chronicon Helveticum, (Johann Rudolf Iselin, Aegidius Tschudi), pp.17-18.

(١٥) أسرة هابسبرج The Habsburg dynasty: إحدى أهم الأسرات الحاكمة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية المقدسة وألمانيا، خلال العصور الوسطى في الفترة (١٢٧٣ – ١٢٩١م، ١٤٣٨ – ١٤٧٧م)، ونجحت في حكم العديد من البلدان الأوروبية عبر الزيجات السياسية من أسرات حاكمة أخرى، ومنها: النمسا وإسبانيا، وهي من أصول سويسرية، فمن الثابت أن آل هابسبرج ينسبون إلى قلعة هابس (Habs-burg) أي قلعة الصقر، هي قلعة في سويسرا الألمانية في كانتونية أرجو Argau المطلة على نهر آر Aar، التي كانت في العصور الوسطى جزءا من سوابيا الجنوبية، C.F: Dahmus (J.), (W.D.), pp. 349-350;

وأنظر: عاشور (س. ع.)، (١٩٨٣م): أوربا العصور الوسطى، ج١ (التاريخ السياسي)، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة)، ط٩، ص ٥٧٦ – ٥٧٧.

(16) Tschudi (A.), (1734), pp. 124-127.

وأنظر: حاطوم (ن.)، (١٩٩٣): تاريخ العصر الوسيط في أوربه، ج٢، (دار الفكر، دمشق)، ص١٣٣.

(١٧) معاهدة فردون، هي اتفاق تم عام ٨٤٣م بين أبناء إمبراطور الفرنجة لويس التقي Louis the pious (٨١٤- ٨٤٠م)؛ كل من لوثر الأول Lothair I ولويس الألماني Louis the Germanicus وشارل الأصلع Charles the Bald، من أجل تقسيم أراضي وممتلكات الإمبراطورية الكارولنجية، حيث حصل شارل الأصلع على الثلث الغربي من الإمبراطورية- الذي عرف فيما بعد باسم فرنسا- بينما حصل لويس الألماني على القسم الشرقي من الإمبراطورية – الذي عرف فيما بعد باسم ألمانيا- وأخيرًا فقد حصل لوثر الأول على القسم الأوسط من الإمبراطورية الكارولنجية وحصل كذلك على لقب إمبراطور الرومان. C.F: Dahmus (J.), (W.D.), p.677.

(١٨) مملكة برجندي: تقع داخل المنطقة الممتدة من ، وتعود تسميتها إلى الشعب البرغجندي، وهو أحد الشعوب الجرمانية، التي استقرت على ضفاف نهر الأودر Oder ومصب نهر فيستولا Vistula، ثم انتقلت بحلول القرن الرابع للعيش حول ضفاف نهري المين Main وراين Rhine، وبحلول عام ٤١١م بدأت الاشتباكات فيما بين البرجنديين وقبائل الألماني Alemannians، ثم عبر البرجنديون إلى منطقة غالة الرومانية عقب تحالفهم مع الرومان، واستقروا في منطقة سون Saône، وعقب عام ٤١٣ ظهرت مملكة برجندي الأولى أو ما عرف بمملكة سابوديا (Sapaudia)، وضمت مدن ليون وبيسانسون Besançon وجنيف Geneva، ثم توسعت لتضم المناطق المطلة على أنهار إيسر Isère ورون Rhône وآري Aare، وبدءً من عام ٥٣٤م غزا الميروفنجيين أراضي البرجنديين، ولم يكد يأتي عام ٦١٣م إلا وأصبحت أراضي البردنديين جزءً من مملكة الفرنجة، ثم تم تقسين مملكة برجندي الأولى من خلال تقسيم فردون عام ٨٤٣م، إلا أنه وعقب وفاة شارل السمين عام ٨٥٥م ظهرت مملكة برجندي الثانية في التاريخ، حيث في بداية هذا العام اجتمع كبار الدوقية في كنيسة آجون Aghon ونادوا بالمركيز رودولف الأول Rudolf I بن كونراد Conrad كونت أوسر Auxerre ملكًا عليهم. C.F: Schelbert (Leo), (2007), p.54.

وأنظر: حاطوم (ن.)، (١٩٨٢): تاريخ العصر الوسيط في أوربه، ج١، (دار الفكر، دمشق)، ص ٢٣٤.

(١٩) دوقية سوابيا: هي دوقية تأسست في المنطقة الواقعة على أعالي نهري الراين والدانوب في جنوب غرب ألمانيا خلال القرن العاشر الميلادي، وتعود تسميتها إلى عنصر السويفي Sueves، الذين استقروا داخل تلك المنطقة خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، (وفي الحقيقة وعقب ارتفاع اسهم قبائل الأليماني - *وهي أحد فروع شعوب السويفي*- التي نجحت في السيطرة على هذه المنطقة، أصبح يطق على دوقية سوابيا أيضًا اسم ألمانيا، وظل اطلاق الاسمين - *سوابيا وألمانيا* - على هذه المنطقة حتى القرن الحادي عشر الميلادي)، هذا وقد تلقت هذه الشعوب المسيحية على يد المبشرين من شعوب السيلتك، والحقيقة أن دوقية سوابيا شكلت إحدى الدوقيات الخمس الكبرى، التي تضم مملكة الفرنجة الشرقية، وبداية من عام ١٠٧٩م أهدى الإمبراطور هنري الرابع دوقية سوابيا لفردريك فون بورن Frederick von Büren زعيم عائلة هوهنشتاوفن، وظلت

الدوقية ضمن أملاك هذه العائلة حتى انقرض خط آل هاوهنشتاوفن عام ١٢٦٨م، وتحولت الدوقية لتصبح ضمن أملاك عائلة هابسبورج بزعامة رودولف الأول، وظل لقب دوقية سوابيا مستخدمًا حتى اندثر عام ١٣١٣م، بوفاة آخر وريثًا لها وهو حنا حفيد رودولف الأول. C.F: Dahmus (J.), (W.D.), p.645-646.

(٢٠) أمراء زايرنجن Zearingan (ZÄHRINGER)، هي أسرة ألمانية من سلالة نبلاء سوابيا Swabian، أشتق اسمها من قلعة زايرنجن ZÄHRINGER، بالقرب من فرايبورج - *مدينة سويسرية*- وهى أسرة أسست دوقية زايرنجن وضمت إليها العديد من المدن المجاورة لها في جبال الألب، كما أسست العديد من المدن في ذات المنطقة، تعود جذور تلك العائلة إلى برثولد Berthold (٩٨٠ – ١٠٢٤م)، كونت فيلينجن Villingen وكونت بيرسجاو Breisgau - *منطقة في جنوب غرب ألمانيا، تقع بين نهر الراين والطريق البري داخل غابة بلاك فورست Black Forest* - الذي قد تعود أصوله إلى إحدى قبائل الألماني، وهو أحد أتباع الإمبراطور الألماني هنري الثاني Henry II (١٠١٤ – ١٠٢٤م)، ونجح في الحصول على الحكم الذاتي من قبل الإمبراطور أوتو الثالث Otto III (٩٩٦ – ١٠٠٢م)، وذلك من خلال مرسوم عام ٩٩٩م، الذي أعطى أمراء زايرنجن حق سك العملة الخاصة بهم لمقاطعة فيلينجن Villingen، أما عن المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة فهو الكونت بيرثولد الأول Berthold I (١٠٠٠ – ١٠٧٨م)، كونت كارنثيا (١٠٦١ – ١٠٧٨م) ودوق سوابيا (١٠٦٠ – ١٠٧٨م)، واستمرت تلك الأسرة في حكم المنطقة حتى آخر دوقاتها بيرثولد الخامس Berthold V (١١٦٠ – ١٢١٨م) عام ١٢١٨م. C.F: Schelbert (Leo), (2007), p.391.

(21) Church (T. G.), (2013) The history of Switzerland from B.C. 110, to A.D. 1830, (Cambridge University Press, Cambridge), pp.16-18; ZSchokke (H.), (1855), pp.22-25;

وأنظر: عاشور (س. ع.)، (١٩٨٣م): ج١، ص ٥٩٧؛ اليوسف (ع. أ.) (١٩٦٧) ، ص ١٠٨-١٠٩؛ حاطوم (ن.)، (١٩٨٢): ج١، ص ٢٠٨-٢١٠؛ الكردي (ن. ظ. ح.)، (٢٠١١)، الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ – كلية الآداب – الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين)، ص ٤٨-٤٩.

(٢٢) هي إحدى أهم مدن سويسرا وأكبرها على الإطلاق، تقع في شمال سويسرا حاليًا، أسسها الرومان عقب الفتح، وأصبحت تحت سيطرة قبائل الألماني خلال القرن الخامس الميلادي، ثم أصبحت مقاطعة تابعة للفرنجة خلال القرن السادس الميلادي، C.F: Dahmus (J.), (W.D.), p.700.

(23) Grattan (T.G.), (1832), pp.16-18.

(٢٤) بازل Basel إحدى مقاطعات الاتحاد السويسري المهمة، تقع في منطقة رهينيا Rhine، يرجع تأسيسها إلى فترة العهد الروماني، واختلف في نسب تأسيسها إلى الرومان أم إلى السيلتيك الهلفيتيون Helvetians، تحت اسم باسيليا Baselia، ومن ثم فهي مستوطنة للسيلتك الهلفيتيين ومعسكر للرومان وذلك حتى القرن الخامس الميلادي، حيث سيطر عليها قبائل الألماني Alemanni، ثم حكمت من قبل الفرنجة حتى عام ٩١٢م، حيث أصبحت بعد ذلك تحت حكم مملكة برجنديا، وبدءا من عام ١٠٠٦ أصبحت تحت سيطرة الأباطرة الألمان حتى نهاية حكم الإمبراطور فردريك الثاني عام ١٢٥٠م، حيث أصبحت مدينة مستقلة، وظلت كذلك إلى ان انضمت للاتحاد السويسري عام ١٥٠١م. C.F: Dahmus (J.), (W.D.), p.105.

(25) Tschudi (A.), (1734), p.12; Dändliker (K.), (1899), A Short history of Switzerland, trans.by Salisbury (E.), (Swan Sonnenschein & CO., Lim., London), pp.22-25.

(٢٦) مدينة فيلينجن Villingen: هي مدينة ألمانية، يعود تاريخ ظهورها إلى عام ٨١٧م، تأسست على يد أمراء زايرنجن، وتقع على الطريق التجاري المار بمنطقة بار Baar على الطرف الشرقي للغابة السوداء Black Forest في جنوب ألمانيا، ونجح الكونت برثولد Berthold أحد أمراء زايرنجن في إعلان الحكم الذاتي بها عام ٩٩٩م؛ وظلت تحت حكم هذه الأسرة إلى عام ١٢١٨م؛ ثم تحولت إلى السيادة النمساوية حتى نهاية العصور الوسطى. C.F: Schelbert (Leo), (2007), p.391.

(٢٧) أسرة هوهنشتاوفن Hohenstaufen أو هوهينستاوفن Hehencsteufan أسرة من أمراء عائلة سوابيا في ألمانيا خلال العصور الوسطى، اعتلت العرش الإمبراطوري بين عامي ١١٣٨ و ١٢٥٤م، مع انقطاع بسيط خلال الفترة من عام ١٠٢٨ وحتى عام ١٢١٢م، وقد استمدت الأسرة اسمها من قلعة عتيقة شيدت في ستاوفن بجبال جور Jura في سوابيا بجنوبي ألمانيا في القرن الحادي عشر الميلادي، التي شيدها مؤسس الأسرة فردريك فون بورن Frederick von Büren، ففي ١١٣٨م اعتلى أحد أفراد أسرة هوهنشتاوفن كونراد الثالث Conrad III عرش ألمانيا، وكان من بين أفرادها الذين حكموا ألمانيا أيضًا كل من : فردريك الأول

باربا روسا وهنري السادس وفردريك الثاني، والجدير بالذكر؛ أن الحقبة الهوهنشتاوفنية ارتبطت . C.F: Dahmus (J.), (W.D.), p.364-365.

وأنظر كذلك : محمد (أ. ص.) (٢٠٠٨)، قراءة في تاريخ وحضارة أوربا في العصور الوسطى، ط١، (شركة الكتاب العربي الإليكتروني – لبنان)، ص ٧١.

(28) Tschudi (A.), (1734), pp. 19-41; Dändliker (K.), (1899), pp.22-27.

(29) Justinger (C.), (1871), Die Berner-Chronik, (Druck und Verlag von K. J. Wyss, Bern), pp.3-16; Doc.No.(56) (Municipal Liberties of Basel Quashed September 13, 1218), in ***Select documents of European History, 800-1492,*** pp.118-119; Tschudi (A.), (1734), pp. 41-116; Dändliker (K.), (1899), pp.27-36.

(30) Cronica de Berno, (1871), ed by Studer (G.), in ***Die Berner-Chronik,*** (Druck und Verlag von K. J. Wyss, Bern), p.295; Tschudi (A.), (1734), pp. 116-118; Dändliker (K.), (1899), pp.37-38.

(31) Tschudi (A.), (1734), pp. 74-94; Cronica de Berno, (1871), p.295;

وأنظر: عاشور (س. ع.)، (١٩٨٣م): ج١، ص ٥٧٧.

(32) Bosshart (L.), (1905), Die Chronik de Laurencius Bosshart, (Basler Buch und Antiquaria Tshandlung, Basel), p.1; Tschudi (A.), (1734), pp. 164-165; Dändliker (K.), (1899), p.42.

(33) Tschudi (A.), (1734), pp. 117-147; Colton (J. M.), (1897), Annals of Switzerland, (A. S. Barnes and Company, New York), pp.21-23.

(٣٤) جاء ذلك نتيجة للأثر السلبي الذي ترتب على الامتيازات التي توسع في منحها والد هنري السابع الإمبراطور فردريك الثاني لصالح أمراء الأكليروس والعلمانيين، حيث مثل ذلك كارثة خطيرة على الكيان السياسي لألمانيا، حيث توسع هؤلاء الأمراء في زيادة نفوذهم وزيادة سلطتهم وتسيع رقعات أراضيهم؛ إلا أن كل ذلك اصطدم بالسياسة الجديدة التي راح يتبعها هنري السابع مخالفًا تمامًا لسياسة والده وأسلافه من الملوك الألمان، حيث رأى هنري السابع أن الطريق الوحيد للخلاص أو على الأقل للحد من نفوذ النبلاء الألمان العلمانيين والإكليريوس؛ إلا الاعتماد على المدن، التي كانت تحاول جاهدة أن تحصل على المزيد من مظاهر الاستقلال، وتسعى للتحرر من سلطان أمراء الإقطاع، وبالتالي حرص رجال المدن على الحصول على "البراءات"، التي تقرر حقوق الحكم الذاتي لهم داخل مدنهم، وبالتالي فقد استوعب هنري السابع مدى الخطر المحدق بالسلطة السياسية الحاكمة داخل ألمانيا؛ جراء خطر تضخم نفوذ أمراء الإقطاع، ومن ثم وضع ثقته الكاملة في المدن الألمانية، التي أعطته هي الأخرى تأييدها المطلق له ضد عدوهما المشترك، الأمراء الإكليروسيين والعلمانيين: C.F: Tschudi (A.), (1734), pp. 124-128;

أنظر: عبدالحميد (ر.)، (٢٠٠٢): الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة)، ص ١٧١-١٧٥.

(35) Anonyme Stadtchronik, (1871), ed by Studer (G.), in ***Die Berner-Chronik,*** (Druck und Verlag von K. J. Wyss, Bern), p.323; Viktring (John of), (1909), Liber certarum historiarum, Tom.1, in ***Monumenta Germaniae Historica, 36, ed. by Schneider (F.),*** (Impensis Bibliopolii Hahniani, Hannoverae), pp.91-92; Anonymus Leobiensis Chronicon, (1865), ed. by zahn (J.), (Leuschner & Lubensky, Gräz), pp.9-10;

وأنظر: أمين (ع. م.) و حسين (م. ت.)، (١٩٨٠)، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، (مطبعة جامعة بغداد، بغداد)، ص ٢١٧-٢١٩؛ عبدالحميد (ر.)، (٢٠٠٢)، ص ١٤٩.

(٣٦) فترة الشغور الكبرى The Great Interregnum (١٢٥٠ – ١٢٧٢م): هي الفترة التي شهدت الصراع المرير على المنصب الإمبراطوري، ويختلف المؤرخون حول تحديد بداية الفترة الشاغرة، التي مرت بها الإمبراطورية بدون رئاسة إمبراطورية حقيقية، اذا اعتبرها البعض منذ وفاة الإمبراطور فردريك الثاني عام ١٢٥٠م، واعتبرها قسم آخر منذ مقتل الإمبراطور كونراد الثاني Conrad II عام ١٢٦٨م، ويذكر بعض من المؤرخين أن الإمبراطورية والملكية الألمانية بدأت في التدهور منذ القرن الحادي عشر الميلادي، على الرغم من الجهود الإحيائية التي قام بها الأباطرة العظام من أسرة هوهنشتاوف، مثل فردريك الأول بربروسا وهنري السادس وفردريك الثاني، وبسقوط أسرة هوهنشتاوفن سقطت الإمبراطورية والملكية الألمانية إلى الدرك الأسفل، فسادت الفوضى والمنازعات ألمانيا أثناء فترة الشغور، حيث ادعى كل من ريتشارد أف

كورنوال الإنجليزي وكذلك ألفونس العاشر ملك قشتالة وليون أحقيتهما في العرش؛ دون أن يحاول أحدهما حكم البلاد فعليًا، ومن ثم استغل الأمراء الإقطاعيون هذه الفرصة لتقوية نفوذهم والإمعان في منازعاتهم، مما ظهر أثره واضحًا في العصر الذي أعقب فترة الشغور، وبالتالي يعد ما يميز هذه الفترة من تاريخ الإمبراطورية اشتداد الاتجاهات اللامركزية الإقطاعية في ألمانيا والنعرات المحلية Localism، ولعل أهم أسباب ذلك ما قام به الإمبراطور فردريك الثاني من اعتراف بسيادة أمراء الإقطاع، من خلال مرسوميه لسنتي ١٢٢٠م و ١٢٣٢م، التي فوض من خلالها الأمراء حق التصرف المطلق في إماراتهم في حالة غياب الإمبراطور عن ألمانيا، ولذلك لعب رجال الدين والأمراء وعدد من القوى السياسية مثل حكام المدن الحرة دورًا خطيرًا خلال الفترة الشاغرة، مما زاد الحالة العامة ارتباكًا، وجعلت من العرش الإمبراطوري لقبًا أجوفًا، حيث انقسم النبلاء في البداية بين كل من وليم الهولندي وأمير سوابيا، ومع استمرار التدهور، ونتيجة للأوضاع المزرية التي تسببت من جراء ضياع الأمن، وكذلك توسطات البابوية لإعادة هيبة الإمبراطورية لاستخدام مواردها للأغراض الصليبية، اتفق الجميع على انتخاب رودولف أف هابسبرج إمبراطورًا عام ١٢٧٣م، منهيًا ولو مؤقتًا فترة الشغور السياسي داخل الإمبراطورية، تلك الفترة التي كانت فاصلًا بين عصرين، الأول وهو عصر الأباطرة المقدسين، الذين تمسكوا لآخر رمق بالحفاظ على الارتباط بين ألمانيا وإيطاليا، أما العصر الثاني فهو عصر سيطرة أمراء الإقطاع والتوسع في ظهور المدن المستقلة الحرة، الذي فقدت فيه الإمبراطورية عددًا من أهم أقاليمها، وعلى رأسها إيطاليا.

أنظر: اليوسف (ع. أ.)، (١٩٦٧)، ص ٢٧٢ – ٢٧٣؛ عاشور (س. ع.)، (١٩٨٣م): ج١، ص ٥٧٤ - ٥٧٦؛ فشر (هـ. أ. ل.) (١٩٥٤): ق٢، ص ٣٤٣، هارتمان (ل. م.) باراكلاف (ج.)، (١٩٨٤): الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ط٣، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية)، ص٢٣٠-٢٣٢؛ وأنظر: حاطوم (ن.)، (١٩٩٣): ج ٢، ص ١٢٨-١٢٩؛ وأنظر: عبدالحميد (ر.)، (٢٠٠٢)، ص ٢٣٢.

(٣٧) عبدالحميد (ر.)، (٢٠٠٢)، ص ١٧٦-١٧٧.

(٣٨) فشر (هـ. أ. ل.) (١٩٥٤): ق٢، ص ٣٤٨.

(39) Justinger (C.), (1871), pp.26-27; Viktring (John of), (1909), pp.93-101, 134-140, 144-176, 177-202; Anonymus Leobiensis Chronicon, (1865), pp.10-22; Annals of Switzerland, (1897), pp.23-25;

وأنظر: حاطوم (ن.)، (١٩٩٣): ج٢، ص ١٢٩-١٣٠، ١٣٢؛ وأنظر: أمين (ع. م.) و حسين (م. ت.)، (١٩٨٠)، ص٢١٩.

(40) Tschudi (A.), (1734), pp. 141-142; McCrackan (W.D.), (1892), The Rise of Swiss Republic, (Arena Publishing Company, Boston), pp.62-66.

(41) Anonyme Stadtchronik, (1871), p.325; Rochholz (E.L.), (1842), Eidgenossische Lieder Chronik, (druck und verlag von chr. Fischer, Bern), pp.1-3; Tschudi (A.), (1734), pp. 138-146.

(42) Anonyme Stadtchronik, (1871), pp.325-326; Tschudi (A.), (1734), pp. 147-176;

وأنظر: حسين (م. ح.) و عبدالمجيد (ل. ر.) (٢٠١٥): تأريخ أوربا في العصور الوسطى، ط١، (دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان) ، ص ٣١٣.

(43) Justinger (C.), (1871), p.26; Viktring (John of), (1909), pp.203-214; Bhalla (A.S.), (2019), Switzerland Then and Now, (Nation Press, Chennai), p.1; Tschudi (A.), (1734), pp. 177-181.

(٤٤) نهر آر Aar: أحد أهم روافد نهر الراين داخل سويسرا، وهو أطول نهر على الأراضي السويسرية على وجه الإطلاق، ويبلغ طولة ٢٩٥ كم (١٨٣ميل)، ويقع عليه العديد من المدن مثل زيورخ وبازل ولوزرن وبيرن. C.F: Schelbert (Leo), (2007), p.1.

(45) Cronica de Berno, (1871), p.296; Anonyme Stadtchronik, (1871), pp.330-331; Viktring (John of), (1909), pp.223-261.

وأنظر: عاشور (س. ع.) (١٩٨٣): ج١، ص ٥٧٧، ٥٧٩.

(46) Tschudi (A.), (1734), pp. 200-201; Bosshart (L.), (1905), pp.1-4.

(47) Doc. (The Swiss Confederation, Aug. 1, 1291.), (1905), in ***select documents illustrating medieval and modern history,*** ed. by Reich (E.), (p. s. king & son, London), p.657; Baker (J. W.), (Spring 1993), The Covenantal Basis for the Development of Swiss Political Federalism: 1291-1848, in ***Oxford Journals,***

Vol.23, No.2, Communal and Individual Liberty in Swiss Federalism, (Oxford University Press, Oxford), p.21; Bhalla (A.S.), (2019), p.2; Oechsli (W.), (2013), History of Switzerland, (Cambridge University press, Cambridge), p.1; Gordon (B.), (2002), The Swiss Reformation, (Manchester University Press, Manchester), p.7;

وأنظر كذلك: اليوسف (ع. أ.) (١٩٦٧) ، ص ٢٧٧، عاشور (س. ع.)، ج١، ص ٥٩٧-٥٩٨؛ حاطوم (ن.)، (١٩٩٣): ج٢، ص ١٣٣.

(48) Doc.No.(152) (The Beginning of the Swiss Confederation), in ***A source book for medieval history, selected documents illustrated the history of Europe in the middle age,*** ed. by Thatcher (O. J.), and McNeal, (E. H.), (Charles Scribner's Sons, New York, 1905), pp.268-269; Doc. (The Swiss Confederation, Aug. 1, 1291.), (1905), pp.657-659; Adams (F.O.) & Cunningham (C.D.), (1889), The Swiss Confederation, (Macmillan & Co., London), pp.1-2,6.

وأنظر: حاطوم (ن.)، (١٩٩٣): ج٢، ص ١٣٣.

(49) Doc. (The Swiss Confederation, Aug. 1, 1291.), (1905), pp.658-659; Fleiner (Th.) & Misic (A.) & Topperwien (N.), (2005), Swiss Constitutional Law, (Saempfli Publishers Ltd. Berne, Bedfordshire), p.22; Bonney (R.), (2004), The Rise of the Fiscal State in Europe c.1200-1815, (Oxford University press, Oxford), pp.327-328.

(٥٠) راجع: فشر (هـ. أ. ل.) (١٩٥٤)، ق٢، ص ٣٤٩؛ وأنظر: حاطوم (ن.)، (١٩٩٣): ج٢، ص١٣٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : المصادر الأجنبية:

- **Anonyme Stadtchronik,** (1871), ed by Studer (G.), in ***Die Berner-Chronik,*** (Druck und Verlag von K. J. Wyss, Bern).
- **Anonymus Leobiensis Chronicon,** (1865), ed. by zahn (J.), (Leuschner & Lubensky, Gräz).
- **Bosshart (L.),** (1905), Die Chronik de Laurencius Bosshart, (Basler Buch und Antiquaria Tshandlung, Basel).
- **Caesar (Gaius Julius),** (1982), The conquest of Gaul, Trans. by Handford (S.A.), (Penguin books, London).
- **Cronica de Berno,** (1871), ed by Studer (G.), in ***Die Berner-Chronik,*** (Druck und Verlag von K. J. Wyss, Bern).
- **Fontibvs (S.A.),** (1931), Schaffhausen eine eigne Münze zu haben, in ***Monumenta Germaniae historica, Tomvs.5 (Die Urkunden Heinrichs III),*** ed. (Apvd Weidmannos, Berolini).
  *Doc.No.(138) (Heinrich verleiht dem Grafen Eberhard das Recht).
- **Justinger (C.),** (1871), Die Berner-Chronik, (Druck und Verlag von K. J. Wyss, Bern)
- **Laffan (R. G.),** (1930), Select documents of European History, 800-1492, vol.I, ed. and trans. by (Henry Holt and Company.)
  *Doc.No.(9) (The treaty of Verdun, 843 A.D.).
  *Doc.No.(56) (Municipal Liberties of Basel Quashed September 13, 1218).
- **Pliny (The Elder),** (1855), The natural history of Pliny, vol.1, Trans. by Bostock (J.) & Riley (H. T.), (Taylor and Francis, London.
- **Polybius, (1968),** The Histories of Polybius, trans. by Paton (W. R.), (William Heinemaxn LTD, London).
- **Reich (E.),** select documents illustrating medieval and modern history, ed. by (p. s. king & son, London).
  *Doc. (The Swiss Confederation, Aug. 1, 1291.), (1905).
- **Rochholz (E.L.),** (1842), Eidgenossische Lieder Chronik, (druck und verlag von chr. Fischer, Bern).
- **Thatcher (O. J.), and McNeal, (E. H.),** (1905), A source book for medieval history, selected documents illustrated the history of Europe in the middle age, (Charles Scribner's Sons, New York).
  *Doc.No.(152) (The Beginning of the Swiss Confederation).
  * Doc. (The Swiss Confederation, Aug. 1, 1291.).
- **Tschudi (A.),** (1734), Chronicon Helveticum, (Johann Rudolf Iselin, Aegidius Tschudi).
- **Viktring (John of),** (1909), Liber certarum historiarum, Tom.1, in ***Monumenta Germaniae Historica, 36, ed. by Schneider (F.),*** (Impensis Bibliopolii Hahniani, Hannoverae).

ثانيًا : المراجع الأجنبية:

- **Adams (F.O.) & Cunningham (C.D.),** (1889), The Swiss Confederation, (Macmillan & Co., London).
- **Baker (J. W.),** (Spring 1993), The Covenantal Basis for the Development of Swiss Political Federalism: 1291-1848, in ***Oxford Journals, Vol.23, No.2, Communal and Individual Liberty in Swiss Federalism,*** (Oxford University Press, Oxford).
- **Bhalla (A.S.),** (2019), Switzerland Then and Now, (Nation Press, Chennai).
- **Bonney (R.),** (2004), The Rise of the Fiscal State in Europe c.1200-1815, (Oxford University press, Oxford)

- **Church (T. G.),** (2013) The history of Switzerland from B.C. 110, to A.D. 1830, (Cambridge University Press, Cambridge).
- **Colton (J. M.),** (1897), Annals of Switzerland, (A. S. Barnes and Company, New York).
- **Dahmus (J.),** (W.D.), Medieval civilization, (MacMillan publishing company, New York).
- **Dändliker (K.),** (1899), A Short history of Switzerland, trans.by Salisbury (E.), (Swan Sonnenschein & CO., Lim., London).
- **Fleiner (Th.) & Misic (A.) & Topperwien (N.),** (2005), Swiss Constitutional Law, (Saempfli Publishers Ltd. Berne, Bedfordshire).
- **Gordon (B.),** (2002), The Swiss Reformation, (Manchester University Press, Manchester).
- **Grattan (T.G.),** (1832), The history of Switzerland from B.C. 114, to A.D. 1830, (Carey & Lea, Philadelphia).
- **McCrackan (W.D.),** (1892), The Rise of Swiss Republic, (Arena Publishing Company, Boston).
- **Oechsli (W.),** (2013), History of Switzerland, (Cambridge University press, Cambridge).
- **Schelbert (Leo),** (2007), Historical Dictionary of Switzerland, (The Scarecrow Press, Inc. Lanham, Maryland).
- **Vieusseux (A.),** (1840), The History of Switzerland, (The Society for the Diffusion Useful Knowledge, London).
- **Wilson (J.), (2007),** The history of Switzerland, (Cosimeo Classics, New York).
- **Sacket (W.),** (2003), Peoples of Europe: Slovenia-Switzerland (Marshall Cavendish, London).
- **ZSchokke (H.),** (1855), The history of Switzerland, (C. S. Francis & CO., London).

ثالثًا : المراجع العربية والمعربة:

- **أمين (ع. م.) و حسين (م. ت.)،** (١٩٨٠)، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، (مطبعة جامعة بغداد، بغداد).
- **حاطوم (ن.)،** (١٩٩٣): تاريخ العصر الوسيط في أوربه، ج٢، (دار الفكر، دمشق).
- **حسين (م. ح.) و عبدالمجيد (ل. ر.)،** (٢٠١٥): تأريخ أوربا في العصور الوسطى، ط١، (دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان).
- **عاشور (س. ع.)،** (١٩٨٣م): أوربا العصور الوسطى، ج١ (التاريخ السياسي)، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة).
- **عبدالحميد (ر.)،** (٢٠٠٢): الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة).
- **فشر (هـ. أ. ل.)،** (١٩٥٤): تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ق٢، ترجمة محمد مصطفى زيادة وأخرون، (دار المعارف بمصر، القاهرة).
- **الكردي (ن. ظ. ح.)،** (٢٠١١)، الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ – كلية الآداب – الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين).
- **لوكوف (ج.)،** (٢٠١٥): هل ولدت أوربا في العصر الوسيط، تعريب وتقديم محمد حناوي ويوسف نكادي، ط١، (مطبعة مفكر، السنغال).
- **محمد (أ. ص.)،** (٢٠٠٨)، قراءة في تاريخ وحضارة أوربا في العصور الوسطى، ط١، (شركة الكتاب العربي الإليكتروني – لبنان).
- **هارتمان (ل. م.) باراكلاف (ج.)،** (١٩٨٤): الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ط٣، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية).
- **اليوسف (ع. أ.)،** (١٩٦٧) ، العصور الوسطى الأوروبية ٤٧٦ – ١٥٠٠، (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت).